الساعة الثانية عشرة

"ع"

www.ebibliomania.com

+201065534541
+201208868826
fb.com/Books.Bibliomania/
بيبلومانيا للنشر والتوزيع
fb.com/bibliomania.eg/
Insta:books.bibliomania/
Books ـ بيبلومانيا
fb.com/groups/Bibliomania.Books/
@BibliomaniaEg

الساعة الثانية عشرة

"ع"

رواية

عبد الرحمن شربيني

ببلومانيا
للنشر والتوزيع

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو نسخ مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو بطريقة إلكترونية أو بالتصوير أو ترجمته إلى أية لغة أخرى دون الحصول على موافقة الناشر مقدمًا.

All Rights Reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without the prior written permission of Bibliomania Ltd.

書誌事項

- **الكتاب: الساعة الثانية عشرة**
- **المؤلف: عبد الرحمن شربيني**
- **نوع العمل: رواية**
- **الطبعة الأولى 1440 هـ - 2018 م - القاهرة**
- **الناشر: ببلومانيا للنشر والتوزيع – مصر**

- رقم الإيداع: **1672/ 2019**
- الترقيم الدولي (ISBN): **978-977-6607-68-2**

- تنسيق وإخراج: فريق إعداد ببلومانيا
- تدقيق: ببلومانيا
- الغلاف: فريق تصميمات ببلومانيا
- المدير العام: جمال سليمان
- العنوان: 27 شارع جمال الدين دويدار من عباس العقاد – مدينة نصر - القاهرة
  38 شارع عمر المختار – الأميرية – القاهرة
- تليفاكس: 0020226061014
- محمول: 00201208868826 – 00201065534541 – 00201210826415
- صفحة الدار على موقع فيسبوك: https://www.facebook.com/bibliomania.eg/
- الموقع الإلكتروني: www.ebibliomania.com

كل ما ورد في هذا الكتاب من أخبار وأحداث وآراء يعبر فقط عن رأي الكاتب، ولا يعبر بالضرورة عن رأي الناشر، ودون أدنى مسؤولية على دار ببلومانيا للنشر والتوزيع

الإهداء

إلى أمي

عبد الرحمن

دقات عقارب الساعة تعلن الثانية عشرة منتصف ليل سبت فى شتاءٍ قارس.

ليلة شديدة البرودة تعلن عن بدء عهد جليدى جديد قادم لا محالة.

عواصف غاضبة تصفر الرياح فيها بجنون .. صفير الرياح كرصاص مدفع حى أطلق دون هدف محدد .. فقط ليصيب الجميع بالرعب والفزع!

الرياح تتلاعب بالنافذة بكل رعونة .. تحركها يمينًا ويسارًا وكأنها ساحر يتلاعب بخفة يد بأوراق اللعب المختلفة.

الرياح تصير أقسى ضراوة وتتحول إلى سياف فى معركة حربية تقتلع أى شىء أمامها من جذوره لتطيح به كورقة فى مهب الريح .. أو بالأحرى كورقة أمام مدفع.

لمعان برق يخطف الأبصار ويتبعه هدير رعد يصم الأذان.

غطت طبقات رقيقة من الثلوج الناعمة الشوارع والطرق والمبانى والمسطحات .. وأى شىء يقع تحت نفوذها وهيمنتها .. برودة الجو واندفاع الهواء يتحكمان كما يشائان بكل شىء.

إنها حقًا ليلة لا تبشر بالخير.

استيقظ من سباته العميق الذى يشبه نوم الأموات .. وفتح عينيه فى لمح البصر فى مشهد مفزع دون سابق إنذار ولا ميعاد وكأن عقارب من فصيلة شديدة السمية لدغته بكل خلية بجسده فى آن واحد.

توسعت قرنية عينيه بشكل يلقى الارتعاب فى القلوب والأبدان حتى كادت أن تصبح قرنية عينيه ملء وجهه.

ممتدًا على السرير .. عيناه الواسعتان محلقتان بسقف الغرفة فى تحدٍ واضح.

وجهه جامد متصلب لا تبدو عليه أى ردود أفعال لبشر .. خطفت من وجهه كل قطرة دماء ليتلاشى لون الحمره من وجهه ويتحول للون الأصفر الباهت .. صوت أنفاسه عالٍ كحصان فى سباق يجاهد للحصول على المركز الأول .. صدره يعلو ويهبط سريعًا.

جسد صلب .. قوى البنيان .. شديد التناسق والتناغم .. عروق بارزة .. أوتار مشدودة .. أعصاب كأحبال صنعت بدقة متناهية لأعمال شاقة .. ثابت فى مكانه كجبل لا يتزعزع.

الظلام يحتضن محيط الغرفة من كل مكان واتجاه .. فاتخذ السواد من المكان ملاذه ومسكنه.

وفى أجزاء من الثانية تحرك من مكانه بخفة حركة ووثب من على السرير .. ضغط على مفتاح بجانب الباب .. ليبعث ضوء خافت من لمبة معلقه أعلى سقف غرفته.

وبكلتا يديه فتح دولاب الملابس .. الكثير منها لدرجة أنهم ملؤا الدولاب رفوفًا وأرضًا .. جذب بقوة من بينهم عشوائيًا -دون تحديد شيئًا بالأخص- بنطال وقميص وأيضًا قفاز .. وانحنى قليلًا بجزعه وفتح درج أسفل الدولاب وأخرج منه مفرش مصنوع من البلاستيك تعدى طوله المتر وكذلك عرضه.

التقط حقيبة ظهر سوداء متوسطة الحجم على جانبها ثلاث خطوط بيضاء ملقاه على الأرض بجوار مكتب خشبي .. وضع بها القميص والبنطال والمفرش والقفاز .. وأيضًا حذاء أسود رياضى مريح مختوم عليه بشعار احدى الشركات الرياضية العالمية .. وأغلقها بإحكام.

خلع كل ملابس النوم التى كان يرتديها ووضعها على السرير بعد أن رتبها بعناية .. وفتح دلفة أُخرى من الدولاب أخرج منها حقيبة حمراء .. فتح الحقيبة وارتدى ما بها من ملابس.

الملابس يبدو عليها أنها جديدة فمازالت تحتفظ بالورقة التى كتب عليها المقاس والسعر .. وبدا أنه لم يهتم حتى بقص تلك الورقة وارتداها كما هى! وأغلق الحقيبة الحمراء وأعادها مكانها مرة أُخرى.

ولم ينسى كذلك ارتداء قفاز جلد أسود كبير غطى كلتا يديه بعناية فائقة.

التقط الحقيبة السوداء من على الأرض بخفة حركة .. وارتداها على ظهره.

تناول ميدالية مفاتيح من فوق طاولة زجاجية وأسقطها بجيبه .. أطفئ اللمبة وحرك قفل باب الغرفة وخرج منها بهدوء بالغ لا تكاد تسمع من صوت حركة قدميه إلا همسا.

توجه إلى باب الشقة مرورًا بالطرقة المظلمة بين الحجرات وقبل أن يفتح باب الشقة ارتدى حذاء بنى جديد على جانبيه ثلاث خطوط زرقاء لم تمسه الأرض قط.

أمسك مقبض باب الشقة بقبضة قوية محكمة تدل على مدى شدة بأس صاحبها .. وفتح الباب برفق شديد وأغلقه خلفه بإحكام.

الدرج مظلم .. وزاد صوت صفير الرياح بين الطوابق والشقق ليبعث الارتعاب فى النفس .. الأنوار كلها مطفأة عدا لمبة واحدة يتيمة أضاءت أسفل الدرج.

خطوات سريعة دقيقة على الدرج قادته إلى الشارع.

شارع كئيب مقفر بإحدى المدن السكنية الجديدة الشبه صحراوية بأطراف العاصمة .. بضع عواميد إنارة بالشارع ولكن ولا واحدة منها مضاءه.

لا يضيء المكان سوى ضوء خافت باهت من قمر مكتمل غطته السحب لكثافتها .. أضفت للشارع مزيدًا من الرهبة والجزع.

الشارع غير ممهد بالمرة .. حجارة وكسر بكل مكان .. ولا يخلو أيضًا من زلط ورمل خلفته العمارات حديثة البناء .. فألقت ما فاض عن حاجتها فى الشارع لعدم الحاجة إليها .. ليصبح الشارع أكثر فوضى واهمالًا.

أسفلت الشارع غير متناسق .. جعل الشارع يعلو ويهبط كل متر كأمواج البحر.

الجو أبرد مما كان يبدو عليه داخل الشقة .. درجة الحرارة داخل الشقة بالنسبة لخارجها جو ربيعى معتدل.

الرياح تصطدم به أكثر من مرة محاولةً اسقاطه .. ولكنه لم يعرها أى اهتمام وكأنها لم تكن.

خلع الحقيبة التى يرتديها على ظهره ووضعها على الأرض بجوار سيارة مركونه بمحاذاة سور عمارة حديثة البناء.

وقف بشموخ وعظمة رافعًا رأسه لاعلى يتأمل السماء .. وبغتتًا ضرب البرق السماء لينير الأرض فى جزء من الثانية.

سريعًا انطلق من مكانه إلى الشارع الموازى له وكأن البرق أعطاه إشارة البدء!

لا أحد بالشوارع .. الجميع بالمنازل مغلقين عليهم ألف باب وباب محاولين الابتعاد عن البرد وقوة انطلاق الهواء .. مختبئين بمنازلهم ليحتمو بالدفء على قدر المستطاع .. حتى الحيوانات اختفت من الشوارع لتحتمى بالمخابئ والحفر من هول تلك الليلة وفزاعتها .. الكل خائف.

بلغ الشارع الموازى وتوقف بمنتصفه متحديًا جبروت الهواء أن يهزمه ويسقطه أرضًا .. ولكنه لم يتحرك أنشًا من مكانه وظل يتلقى ضربات الهواء بصدر رحب وسعة نفس .. الضربات لم تهزه .. ضربات متتالية ومتتابعة وسريعة .. ولكن جبروته كان أقوى منها وأشد .. وانتصر عليها فى النهاية.

فتح فمه على مصرعيه ابتلع فيه صدره قدرًا كبيرًا من الهواء ملء به رئتيه .. وبعدها انطلق من مكانه بخفة وتدارى عن الأنظار واختبئ .. وانتظر.

نظر ثاقب قوى .. شديد التركيز .. اختلط بنظرات البرودة والقسوة تعكس ما فى قلبه من ظلامٍ دامس وشر.

لم ترمش عينيه طوال انتظاره بتاتًا كصقر ينتظر لحظة الحسم لينقض بكل شراسة على فريسته بكامل قوته دون وهنًا أو ضعف.

الوقت يمر عليه ببطء .. وهو على حاله لم يتحرك من مكانه .. وكأنه تمثال من الشمع صنع بإتقان .. فأتقن الدور ببراعة.

لم تمر سوى دقائق حتى ظهر نور آتٍ من بعيد.

ضوء مصباح سيارة مقبله من أول الشارع وتقترب .. وتقترب كثيرًا.

السيارة لا تسير بخط مستقيم .. حركات السيارة كلها إنحناءات وتعرجات .. تتمايل يمينًا ويسارًا بحركات تدل على أن قائدها فى حالة سُكر واضح وبيّن .. يقع فى كل الحفر والنقر وكأنه يتعمد اصطيادها .. حتى المطبات كان لها نصيب فى التأثير على السيارة.

وبصعوبة بالغة استطاع ركن سيارته مبتعده عن الرصيف بمسافة متر على الأقل.

أطفئ محرك السيارة ونسى مصباحها مازال مضاءً .. وفتح الباب وهم بالنزول.

يتمتم بكلمات غير مفهومة .. يبدو أن السُكر تمكن منه واشتد عليه فأصبح يدندن بأغانى قديمة لأم كلثوم .. وبيديه اليمنى زجاجة خمر يتجرع منها رشفة بعد رشفة.

وبمجرد أن لامست قدمه اليسرى الأرض اختل توازنه وكاد أن ينزلق .. لولا أنه أمسك بباب السيارة فى آخر لحظة فحفظ توازنه.

فتح فمه على مصرعيه وأفرغ كل ما في معدته .. من الواضح أن معدته على آخرها .. أو أن الخمر انقلب عليه فلم يعد له مستقر بالمعدة.

وقبل أن يغلق باب سيارته تحرك المختبئ بسرعة ينافسه البرق سرعًا متجهًا صوب الشخص السكران بخطٍ مستقيم .. ويحمل بيده سكين ضخم ذات نصل فولازى ويدٍ خشبية تمزق الهواء إلى قطع من حدتها .. تعدى طولها 25 سم لم تصنع سوي لهدف واحد .. تقطيع اللحـــم!

وفى طرفه عين أصبحا وجهًا لوجه كل منهما الآخر.

تلاقت الأعين فى زمن أعلن توقفه وعصيانه عن المضى والتحرك .. والأعين تلاحق بعضها فى ترصد.

وبحركة غير متوقعة وثب عاليًا فى الهواء متحديًا الجاذبية تحت قدميه .. لتعطيه القفزة قوة ومقدرة أكبر فى الحركة وكف يده معتصر مقبض السكين الخشبى ونزل بكل حده – غير مشفقًا– على رقبه السكران ليطيح بحنجرته للأبد.

انفجر الدم من رقبته كنافورة عين ساخنة تفجرت للتو .. والسكران فى ذهول وتعجب من هول الموقف الذى جعله يفيق من سُكره العميق ويسقط أرضًا لترتطم زجاجة الخمر بالأرض وينسكب المنكر منها.

عينيه كلها تضرعًا ورجاءً كى يرحمه .. يحاول أن يلتمس أى رحمة أو شفقة تدفعه للتوقف والعدول عن فعلته .. ولكن هيهات .. فصاحب السكين فى حالة يصعب التحقق منها انه مازال فى عالمنا ويسمع ويرى ما يحيط به.

السكران ممتدًا على الأرض ممسكًا بحنجرته الممزقة لنصفين متساويين يتلوى من الآلم والدماء تنهمر منه بغزارة لتحيط به من كل جانب واتجاه.

نظرة طويلة من صاحب السكين للسكران قال فيها ألف كلمة ولكنه لم يفهم منها حرف بتاتًا .. لغة لن ولم يفهما أحدًا سواه.

وبغتتًا انهال عليه بطعنات وضربات من المستحيل حصرها لسرعتها وكثافتها حتى مزق ما تبقى من حنجرته وقفصه الصدرى وهو يضحك ضحكة هستيرية لا تمت بصلة لأى مخلوق عاقل .. ضحكة تكاد تصيب الأبدان برجفة الفزع.

لم يوقفه شىء .. طعنة هنا وطعنة هناك .. السكين تدخل جسده وتخرج منه بكل ليونه ويسر .. تدخل السكين بالدماء وتخرج حامله ضعفيه.

صفير الرياح يتعالى أكثر فأكثر كموسيقى كلاسيكية لمشهد مرعب فى أحد الأفلام .. ويصير الجو أكثر برودة وقسوة.

وأخيرًا أعلنت يداه توقفها عن التقطيع والتشريح .. نعم فتلك الضربات لم تكن مجرد طعنات عادية إنها تعدت مرحلة الطعنات بكثير ودخلت لمرحلة التقطيع ولا مبالغة لو قلنا وصلت لمرحلة فصل العظام عن اللحم!

المنظر بشع ومقزز ومثير للغثيان .. حتى الضباع ترحم فريستها بعد قتلها ولكنه لم يفعل .. أحشاؤه كلها خارج جسده تملء المكان .. عظام قفصه الصدرى أصبح فتاتًا تذروه الرياح .. الدماء على الارض كالأنهار الجارية .. صدره مفتوح على مصرعيه وكأنه يستعد لعملية قلب مفتوح.

عيناه ترمقانه بدقة .. يتفحص ما تبقى من جسده بتأني.

وقف على قدميه من جديد ببطء شديد يتأمل ما فعله بفخر .. وكأنه انجاز غير مسبوق غير مسار البشرية.

فتح فمه على آخره ليسمح لرئتيه بسرقة أكبر قدر من الأكسجين.

وماهى إلا أجزاء من الثانية وانطلق سريعًا وهو يعلم تمامًا أين سيذهب.

تركه جُثة هامدة فى مكانه أو بالأحرى ما تبقى منها واتجه إلى الشارع الأول الذى كان به .. انحرف عن مساره بخفة حركة واتجه إلى سيارة مركونه بجوار سور عمارة حديثة البناء .. ووقف بجانبها.

رمى السكين على الأرض وخلع قفازيه وألقاهم بجوار السكين .. ودس يديه بجيبه وأخرج ميدالية المفاتيح ووضعها فوق السيارة وفتح الباب ببصمة اصبعه.

خلع كل الملابس التى يرتديها الملطخة بالدماء والحذاء أيضًا وألقاهم على الأرض بجوار القفاز والسكين.

فتح الحقيبة التى تركها بجوار السيارة وارتدى ما بها من ملابس وحذاء وقفاز .. وأخرج المفرش المصنوع من البلاستيك ووضعه فوق السيارة كما هو.

بعد ارتداؤه للملابس .. وضع الملابس -الملطخة بالدماء- الملقاه على الأرض وما معها فى الحقيبة .. وأغلقها جيدًا.

فتح باب السيارة وأمسك بالمفرش الذى وضعه فوق السيارة وفرده بالكامل -قبل أن يجلس- على المقعد والدواسة وغطى به كل شىء .. وجلس على المقعد وبجواره الحقيبة وأغلق الباب.

أدار المحرك .. وفتح المصابيح .. وتحرك بسرعة جنونية.

لا يحيط المكان سوى صحراء كبيرة جرداء .. مخيفة باردة ليلًا .. ساكنة هادئة صباحًا ومساءً .. عادةً لا يأتيها أى زائرين .. باستثناء هذه الليلة.

اخترق الضيف خلوة الصحراء .. وابتعد كثيرًا عن المدينة الكئيبة و تعمق فى جوف الصحراء أكثر فأكثر.

الظلام فى الصحراء أشد من المدينة بمراحل .. يعتمد فقط على مصابيح سيارته للأهتداء فى الطريق .. وعلى حين غرة وبلا مقدمات ضغط على المكابح بكل عنف للتتوقف السيارة فى الحال .. ترجل منها وترك الباب مفتوح.

اتجه إلى مقدمة سيارته ليعطيه ضوء المصابيح رؤية جيدة .. بدء يحفر فى الصحراء بكلتا يديه .. حفرة ليست بالعميقة ولكن لا بأس بها ستفى بالغرض.

والآن بعد أن انتهى من الحفر ذهب مجددًا لداخل السيارة وأحضر الحقيبة التى تركها بجانبه وأخذ أيضًا المفرش البلاستيك وولاعة كانت فى درج التابلوه .. ورجع مرة أخرى للحفرة وألقى بها المفرش والحقيبة لتتوسط منتصفها.

انطلق لصندوق السيارة الخلفى وفتحه .. وبدا عليه انه يبحث عن شىء ما فى جدية .. ها هى وجدها .. زجاجة بها بنزين.

فتحها وأغرق الحقيبة والمفرش بالكامل حتى تشبعوا بأخر قطرة من البنزين .. وألقى معهم الزجاجة لتجلس بجوارهم .. أمسك الولاعة وأشعلها .. نظر إليها مليًا ورفعها عاليًا وألقاها بالحفرة.

أخذت النيران تلتهم الحقيبة و الزجاجة فى جشع.

وبعدما تأكد من التهام النيران لهم –حتى أصبحوا رماد– ردم الحفرة.

وبعدها ركض ناحية سيارته وجلس بمقعد السائق وأغلق الباب بقوة .. ضغط على دواسة البنزين حتى وصلت لآخرها متجهًا إلى مكان ما أتى منه أول مرة.

وفى دقائق معدودات خرج الضيف من الصحراء وقبضة يديه معتصرة مقود القيادة.

وصل إلى الشارع الذى كان به منذ قليل وهدأ من سرعته كثيرًا .. ركن السيارة تمام ما أخذها .. أطفئ محركها وأغلق المصابيح ونزل منها وأغلق الباب.

صعد إلى الشقة مرورًا بالدرج وفتح الباب برفق شديد وخلع حذاؤه ووضعه بالمكان المخصص للأحذية .. وانطلق إلى الغرفة ووضع ميدالية المفاتيح على الطاولة الزجاجية.

بعدها اتجه إلى الحمام وخلع ملابسه .. ولم تمنعه برودة الجو من الاستحمام.

وماهى إلا عشر دقائق حتى خرج منه وارتدى ملابس النوم التى تركها على السرير ورتب الغرفة وملابسه بدقة متناهية.

ألقى بجسده البارد على السرير بعد جهد شاق وليلة قاسية .. غطى جسده وأغلق جفنيه وأخلد إلى نوم عـميــق.

الساعة ٦:٠٠ صباحًا.

صوت بشع وشنيع يخرق الآذان لا يتحمله بشر .. أخذ يطوح بيديه يمينًا ويسارًا أسفل وفوق الغطاء وفى كل اتجاه باحثًا عن هاتفه المحمول ليسكت صوت المنبه.

وبصعوبة شديدة وجده .. وأخذ يبطش بعشوائية على الشاشة وجميع الازرار ليخرص ازعاج المنبه للأبد .. وأخيرًا تمت المهمة بنجاح.

وضع يديه على رأسه من الم ذلك الصداع البغيض اثر قله النوم الذى أخترق جمجمته دون أستأذان.

مالك يتميز بشعر أسود ناعم طويل غطى كل رأسه حتى منتصف رقبته .. لم يزر حلاقه منذ شهور عدة .. لدرجة أنه لو مر به لن يتذكره .. تميل قامته أكثر للطول .. صالات الجيم والحديد تنحت آثارها على جسده فتظهر أكثر عضلاته .. عينيه خضراء اللون .. لون بشرته يميل للون الأبيض .. يبدو أصغر كثيرًا من سنه الحقيقى .. غطى ربع وجهه نظارة طبية دائرية التصميم وكأنها صنعت من أجله .. اختارها بعناية وسط مئات النظارات ذات الألوان والأشكال المتعددة لتنتصر وتفوز هى بالنهاية وتصبح واحدة

من مفضليه .. ولا ننسى أيضًا جرح مميز فى حاجبه الأيسر أثر سقوطه من على دراجة – كان يلهو بها وهو صغير– وارتطامه بحجر.

طالب بالسنة النهائية بكلية الطب البشرى جامعة القاهرة .. وحيد والده ووالدته .. لم ينجبا سواه .. فصبوا عليه من شتى أشكال الحب والحنان والعطاء ما أوتوا .. لم يبخلا عليه بشىء .. كل طلباته مجابه وكل ما يتمنى تحت أمره حتى يرضى.

الجميع يشهد له بالأدب وحسن الخلق .. متفوق دراسيًا .. الجميع يتوقع له بالحصول على وظيفة معيد بعد التخرج نظرًا لحصوله على تقدير إمتياز مع مرتبة الشرف فى السنوات الماضية.

وأيضًا لا ننسى أنه حاملًا للجنسيتين المصرية والأمريكية.

مهووس بالنظافة .. كل شىء بحياته مرتب ومنظم على أكمل وجه .. حياته أشبه بجدول تنظيمى كبير ينفذه بالحرف الواحد .. غرفته هى الأخرى تحاكى مكتبة صغيرة الحجم مزدحمة بالكتب العلمية المختلفة التى تخص مجال الطب وغيره.

يصفو بذكاء حاد مرتفع .. يعشق القراءة بكل شىء يقع تحت يديه .. عنده فضول لا ينتهى .. بارع فى حل الألغاز والأَحاجِى .. لا شىء يصعب عليه أبدًا .. يتوصل فى

النهاية إلى حل لكل مشكلة تأتيه مستفزه ما فيه من ذكاء وفطنه على تخطيها .. الدراسة بالنسبة له شيئًا هينًا .. بأقل مجهود مبذول يفهم المعلومة ويحفظها ويطبقها.

التقط هاتفه من على كومود بجوار سريره .. وأخفض ضوء شاشة الهاتف على أقل ما يمكن وضغط على Night Shift On لتحويل شاشة هاتفه إلى اللون الأصفر المريح للعين .. وفتح الWifi ليحدث صديقه طارق على الWhatsApp.

مالك:

- طاارق .. انت فين دلوقتى؟

رد طارق بعدها بسبع دقائق:

- كنت باخد دش عشان أفوق .. هتنزل إمتى؟

أردف مالك وهو مازال على السرير متثائبًا:

- يابنى أنا فى الطريق من بدرى وقربت أوصل .. أنت دايمًا كدا بتتأخر علينا .. انجز بسرعة وتعالى!

رد طارق:

- خلاص خلاص يا عم نازل سلام.

قال مالك:

- سـلام.

قفز من فوق سريره فى نشاط .. وفتح ستائر النافذة لينير ضوء الصباح حجرته بأكملها.

فتح الدولاب والتقط بعض الملابس الداخلية للأستحمام .. دخل الحمام وخلع ملابسه وفتح كل الصنابير على المياه الساخنة لتدفئة الحمام بشكل جيد .. وبعد وصوله لمرحلة السونا فتح قليلًا صنابير المياه الباردة ليحصل على توازن دقيق فى درجة الحرارة بشكل ممتاز.

أنهى حمامه الملكى بعد نص ساعة كاملة .. جفف جسده بعناية وخرج مرتديًا روبه البيج متجهًا إلى غرفته.

فتح دلفتى الدولاب على مصرعيهم .. ملابس لا نهاية لها .. مرصوصة بشكل منسق وكأنها فاترينا باحدى المحلات ذات المركات العالمية .. العديد من الألوان والتصميمات المتنوعة التى تتلائم مع ذوقه الرفيع فى اختيار الملابس والتى تتناسب مع شاب فى سنه.

إرتدى القميص الأبيض .. وفوقه البلوفر التركواز .. يليه بنطال جينيز ضيق بلون أبيض لؤلؤى على موضة بنطلونات الBoyfriend مقطع من كل جانب وزاوية.

أمسك فرشاة الشعر من على المكتب الخشبي وصفف بها شعره بعد أن وضع عليه كريم تسريح جعله أكثر لمعانًا وإنسيابية.

ولم ينسى أيضًا بخ نصف زجاجة العطر ذات الرائحة الأخاذة والمميزة التى أحضرها والده خصيصًا له من فرنسا بناءً على طلب منه فى إحدى سفرياته التجارية.

جذب درج أسفل الدولاب وأخرج منه جوارب سوداء قصيرة للغاية وارتداها .. والتقط ميدالية المفاتيح والموبايل والمحفظة من على الطاولة الزجاجية والبالطو الأبيض .. وكاد أن ينسى كشكول محاضراته وقلم Rotring رصاص لولا أنه تذكر فى آخر لحظة أن عليه محاضرة هامة عليه تدوينها .. وخرج متجهًا إلى باب الشقة.

وما إن وصل باب الشقة حتى فتح دولاب صغير الحجم للأحذية موضوع بجواره .. ارتدى حذاء جلد باللون البنى المحروق من ماركة Converse الشهير .. التى ذاعت صيتها كموضة للشباب .. فانتشرت كالنار فى الهشيم.

فتح باب الشقة وأغلقه بعنف –دون قصد– بسبب قوة إندفاع الهواء .. ونزل من البيت مرورًا بالدرج ليصطدم وجهه بنسمات الهواء الصباحية الباردة .. التى تجعلك ترتجف من داخلك بطريقة لا إرادية جعلته يبتسم.

توجه إلى سيارته المركونه بجوار سور عمارة حديثة البناء.

فتح باب سيارته الBMW 330i ذات اللون الرمادى اللامع .. باهظة الثمن أحدث موديل .. التى لطالما أعجب بها وتمناها .. مطعمه بكافة الأكسسوارات الشبابية .. ولم ينسى أيضًا تعتيم زجاج السيارة باللون الأسود .. والتى أهداها له والده الذى لاحظ ولعه وشغفه بها .. ووعده إن استمر فى الحصول على تقدير إمتياز سيحصل عليها .. وقد كان.

سيارة ذات فرش أحمر رياضى صمم خصيصًا ليستفز الأدرينالين بجسدك ليحفزك بأقصى طاقة على خوض تجربة رياضية ممتعة.

أدار محرك السيارة ليوقظ الوحش النائم سعة ٢٠٠٠ سى سى تيربو ٤ سلندرات.

أخرج هاتفه من جيبه وفتح تطبيق الSoundCloud ووضع بمخرج سماعة الهاتف وصله الAUX لتبدء أغانى Imagine Dragons بالعمل على أعلى صوت ممكن .. وما إن يغلق بابها وزجاجها لن يسمع من بداخلها خارجها ولن يسمع بمن خارجها داخلها .. وهم بالتحرك.

مسافة طويلة سار بها من شارعه إلى الشارع العمومى خارج المنطقة السكنية إلى أقرب طلعة دائرى.

الدائرى على آخره يكاد يلفظ آخر أنفاسه .. لا يوجد به شبر إلا وعليه إطار لسيارة .. زحمة ممتدة لآخر مد البصر .. تشعر أنه جراج كبير به آلاف السيارات الملاكى والأجرة والميكروباصات والدراجات النارية .. وأيضًا التريلات العملاقة التى لطالما خالفت قوانين تنظيم سير سيارات النقل الثقيل.

وبعد صبر مبالغ فيه نزل من الدائرى ليلحق بالشوارع التى لم تخلو أيضًا من الزحمة .. وكأن بشر القارات السبعة يعلمون بميعاد نزوله فيلحقون به فى نفس التوقيت.

أخيرًا لا يفصله عن الكلية سوى شارع واحد به جراج ركن به سيارته.

وصل أمام بوابة الجامعة فى تمام الساعة الثامنة صباحًا.

وعلى البوابة أبرز بطاقة هويته الجامعية لفرد الأمن بعد أن ظل لحظات يقارن وجهه بصورة البطاقة .. وسمح له بالمضى.

تحرك بهروله حتى وصل إلى المدرج .. ودخل من الباب الخلفى الذى ما زال مفتوحًا.

متلفتًا يمينًا ويسارًا رافعًا رأسه يبحث عن أصدقائه وسط دوشة وزحمة الطلاب.

وجدهم بعد لحظات وتحرك ناحيتهم وجلس على طرف المدرج بجوار صديقه طارق الذى سلم عليه فى غضب .. وسلم أيضًا على أصدقائه أيمن ونرمين بحرارة.

طارق صديق مالك من الطفولة حتى الجامعة .. والد طارق هو الدكتور يوسف ذكى .. ومن لا يسمع عن الدكتور يوسف ذكى عضو مجلس الشعب الذى بإشارة منه يصبح المستحيل ممكنًا والذى لطالما نجى مالك وطارق من مصائب وكوارث كادت أن تودى بحياتهم ومستقبلهم إلى الهاوية.

نظرات طارق الغاضبة لمالك تقول كل شىء حتى قبل التحدث.

غضبه لم يكن بسبب تأخر مالك عن ميعاد المحاضرة .. فمالك لا يتأخر عن مواعيده أبدًا .. ولكن سبب غضبه وصوله قبله وانتظاره.

قال طارق مُقطبًا حاجبيه:

- أنا كنت متأكد إنك بتكلمنى وأنت لسه على السرير وهوصل قبلك! أنت طول عمرك بتتأخر عليا! .. قالها بكل عصبية وعيناه تستشيط غضبًا.

رد مالك ببرود وخبث:

- طب ما أنت عارف إن ميعاد المحاضرة الساعة ٨ بتيجى قبلها بساعة ليه؟!

واستمر نقاشهم لما يقرب من نصف ساعة .. ولولا رنين هاتف مالك لأستمر النقاش أمدًا بعيدًا وانتهى بالسب والتوبيخ.

أخرج هاتفه المحمول من جيبه بلهفة -بعد أن شعر برجفة خاصية الهزاز عند رنين أحدهم- ونظر إلى الشاشة بملء عينيه كأنما ينتظر مكالمة أحدهم طال إنتظارها أمدًا طويلًا.

واذا بها أمه تتصل .. فبدا عليه جليًا الإستياء والتذمر .. وخابت توقعاته وضغط على رفض المكالمة.

لتعود والدته الإتصال مرة ثانية فيضغط رفض المكالمة مرة أخرى .. لتواصل بالإتصال مرارًا وتكرارًا وبإلحاح شديد على غير العادة!

فشعر حينئذ بالقلق والأضطراب وأحس بشيء لا يبشر بالخير فهذا الإلحاح على غير المألوف يعنى مصيبة أو كارثة وقرر الإستجابة وفتح المكالمة .. وقال بصوت منخفض أشبه بالهمس:

- فى إيه يا ماما انتِ مش عارفه إنى دلوقتى فى محا.....

وقاطعته منهاره بالبكاء:

- الحقنى يا مالك فيه مصيبة خالك مـــات!

وأغلقت المكالمة.

قشعريرة وماس كهربائي سارا فى جسده من هول وفاجعة ما سمعه من والدته جعلت عقله مشتت أو بالأحرى شل تفكيره .. حتى ضربات قلبه لم تسلم من هذا الخبر المشؤوم لتتزايد بطريقة مضطربة.

حاول التماسك والسيطرة على أعصابه بقدر الإمكان وخرج من الباب الخلفى للمدرج وقدماه لا تقوى على حمله وطارق مناديًا عليه بصوت منخفض حتى لا يسمعه دكتور المحاضرة "ماااالك ماااالك".

خرج من الجامعة جريًا متجهًا إلى الشارع الذى ركن به سيارته وعلى وجهه رسمت ملامح الذعر والجزع بدقة متناهية .. فتح باب سيارته وأدار المحرك .. وبدء بالتحرك.

خرج من الجراج ليلتحم بالطريق.

زحمة الطريق مقززة ودخان عوادم السيارات تصيبك بالغثيان المميت .. إشارات طويلة .. شوارع ضيقة .. الكثير من المارة والباعة الجائلين .. حركة السير بطيئة فى كل مكان .. يخرق أذنيك كلاكس السيارات من كل مكان واتجاه.

الوقت يمر بتأنى ومالك متوتر وقلق .. لا يدرى ماذا يفعل! خاله مات ووالدته منهاره وصوتها يقطع الأبدان .. الطريق طويل جدًا .. زحمة الطرق خانقة.

وبعد معاناة وطول إنتظار وصبر التمس طلعة الدائرى لتبدأ مشقته القذرة من جديد.

طوال الطريق ضاغطًا بقوة واستمرارية على كلاكس السيارة لعل وعسى أن يشعر أحدهم بأنها حالة طارئة فيفسح له المجال .. ولكن لا حياة لمن تنادى .. كلًا فى واديه الخاص.

رويدًا رويدًا بدأ الطريق الدائري ينفتح فى آخره قليلًا والسيارات يقل عددها .. فاستغل الفرصة وضغط على آخر دواسة البنزين لتستجيب قوة محرك بسعة ٢٥٢ حصان لرغبته الجامحة فى الإندفاع بأقصى قوة وسرعة ممكنة ليخضع الموتور لأوامره الصارمة.

وبعد عدة كيلومترات أنهى الطريق الدائرى بمناورات ومجازفات جنونية ونزل إلى أقرب مخرج يقوده إلى شارع طويل عمومى آخره شارع أخر أقصر منه حيث يكون منزله.

هدأ قليلًا من سرعته وأقترب كثيرًا من الشارع الذى يسكن فيه.

لمح على ناصية الشارع سيارة شرطة منتصبه بعرض الطريق كبودى جاردات الملاهى الليلية تمنع أى حد من الدخول .. بداخلها أمين شرطة يدخن سيجارته فى تروى لا يبالى بشىء .. يأخذ أنفاسه من السيجارة ببرود .. يظهر على ملامحه الغباء القبيح .. يحتمى بدفىء السيارة من برد الشتاء القارس .. وبجانب السيارة اثنين من العساكر يرتعشان من شدة البرد وازرقت وجوههم.

اقترب منهم يريد الدخول إلى الشارع والوصول إلى العمارة التى يسكن بها.

أوقفه العسكري .. فأنزل زجاج سيارته لأسفل ليحدثه .. بادره العسكري بلهجة صعيدية خشنه قائلًا:

- أيوا يا بيه رايح فيــن؟!

رد مالك:

- أنا ساكن هنا!

قال العسكرى كلمتين يحفظهم دون تفكير:

- هات بطاقتك الأول أوريها للباشــا!

سريعًا أخرج بطاقة تحقيق الشخصية خاصته من المحفظة وأعطاها للعسكرى دون تحدث.

التقط منه البطاقة وتوجه إلى أمين الشرطة الجالس بالسيارة وتمتم بكلمات غير مفهومة وهو يعطيه البطاقة.

أمسك أمين الشرطة البطاقة وبدأ بتفحصها وهو يلتفت مرارًا وتكرارًا لمالك من بعيد.

وبعد لحظات أرجع أمين الشرطة البطاقة ثانيًا إلى العسكرى وأمره بأفساح المجال .. وتوجه العسكرى مرة أخرى إلى مالك وقال:

- خد بطاقتك.

وأزاح الحاجز المعدنى ليسمح لمالك بالمرور.

الإنزعاج والإضطراب يزدادان بقلبه .. إرتجاف ضربات قلبه فى تصاعد مستمر كلما اقترب أكثر من المنزل.

الهلع يسيطر على الشارع بجنون.

سيارتان للشرطة يحوم حولهم عدد لا بأس به من العساكر والمخبرين .. وما لا يقل عن ثلاث ضباط يرأسهم المقدم شوقى رئيس المباحث.

ركن سيارته بجانب سور عمارة حديثة البناء وسط بركة ماء تسع لحوت ضخم إثر ما خلفته مياه الأمطار أو بالأحرى السيول الجارفة.

أطفئ المحرك فى توتر يشاهد الموقف فى صمت والمقدم شوقي يراقبه فى ترصد.

لم يهتم مالك كثيرًا بما يحدث فكل ما يفكر فيه هو أمه .. وركض سريعًا إلى العمارة وأتبعه رئيس المباحث ومعاونه خلفه.

صعد الدرج للطابق الثالث فى ثوانٍ حتى وصل الشقة التى يقطن بها.

وإذ فجأةً شقتهم أصبحت شبه قسم شرطة من كثرة رجال الشرطة والتحقيقات.

عيناه لا تبحثان سوى عن والدته .. يلتفت يمينًا ويسارًا علّه يجدها هنا أو هناك .. لحسن حظه لم يبحث طويلًا فقد وجدها جالسه على أريكة منهاره بالبكاء فى حالة صدمة ووالده بجوارها يحاول مواستها ولكن دون جدوى .. دموعها وحزنها كان أقوى.

اقترب بتروي وتصاعدت هزات ضربات قلبه .. حركاته ثقيلة مختلطة بإرتياع وجزع .. وارتسمت على وجهه علامات الخوف والإضطراب.

وقبل أن يصل إليهما بعدة سنتيمترات قاطعه المقدم شوقى بيده وقال:

- فيه تحقيق شغال ولازم أتكلم معاك! .. "قالها فى شدة وحزم بالغ"

المقدم شوقى الذى يكرهه الجميع بما فيهم رجاله وزملائه .. غليظ الطباع .. سريع الغضب .. كثير الحركة .. نظراته تثير الأشمئزاز .. لا يمت مظهره بصله لضباط المباحث ولا حتى ضباط الشرطة.

قصير القامة لا يتعدى طوله ١٦٥ سم .. عندما تراه لأول مرة تتخيل مدى ضخامة الواسطة التى أدخلته كلية الشرطة .. نحيف للغاية لا يتعدى وزنه ٥٥ كيلو جرام .. يغطى نصف وجهه شنب عريض يشبه شنب الفتوات.

يحاول أثبات هيبته ببلوفر أحمر وجاكت جلد ضخم تعدى ركبتيه .. يرتدى بنطال زيتى لا يمت بصله من قريب ولا من بعيد للبلوفر الأحمر .. ستر قدميه حذاء سيفتى أكبر من مقاسه تعدى كعبه ٥ سم أعطاه بعض الطول الذى أرضاه للغاية.

وفى جانبه سلاحه الميرى عيار ٩ مللى الذى يتعمد إظهاره فى كل المواقف ليداري النقص الذى يشعر به دومًا.

نظرة طويلة لمالك وكأنه مخلوق فضائى يقوم بتفحصه .. نظراته بدائية بلهاء مفضوحة.

وبعد طول صبر أنهى نظراته المقززة وأخرج من جيبه علبة سجائر LM وقام بإشعال واحدة وأخذ نفس عميق وتحدث محاولًا إظهار ذكائه المتواضع:

- طبعًا أنت مالك؟!

رد مالك فى تردد:

- أي..أيوا أنا مالك.

المقدم شوقى:

- أنت عارف إن خالك اتقتـل؟!

نزلت جملة المقدم شوقى عليه كصاعقة أصابت هدفها بدقة .. والذى ظل صامتًا من صدمة المفاجأة متسمرًا بمكانه .. وأحس بضيق تنفس.

وهنا تدخل النقيب جمال معاونه بذكاء محاولًا التهدئة من حدة الموقف فهو بحكم خبرته يعلم التأثير النفسي فى المواقف المشابهة وقال:

- تسمحلى معاليك أكمل أنا التحقيق؟! أنا ومالك شباب زى بعض وهنعرف نتفاهم! .. "قالها مبتسمًا".

أومأ المقدم شوقى رأسه للنقيب جمال دلالة على الموافقة .. وتركهم ليكمل باقى تحقيقاته الأخرى بعد أن ألقى على مالك نظرة تفحصته من أعلى رأسه حتى أخمص قدميه.

النقيب جمال عكس تمامًا المقدم شوقى فهو شاب طويل .. وسيم .. قمحي البشرة .. جسده متناسق .. شعره أسود ثقيل .. عينيه عسليتان .. يهتم بمظهره للغاية فهو يعتبره الواجه له فى الأول وفى الأخر .. يبدو على ملابسه انها من النوع باهظ الثمن .. يرتدى قميص كحلى وبنطلون أسود .. وبالطو أسود مطفى .. وساعة Rolex فى معصمه الأيسر .. وأخيرًا Glossy Shoes.

يمتاز بذكاء حاد وسرعة بديهه .. وذلك السبب الرئيسى فى ترقياته السريعة وآخرها رتبة نقيب التى حصل عليها منذ عدة أشهر .. وانتقل بعدها ليدخل جهاز المباحث .. النقيب جمال أكبر من مالك بعام ونصف لا أكثر.

ظل مالك واقف مُنكمشًا فى مكانه .. مائلًا رأسه قليلًا نحو الأرض .. عيناه مركزتان على بلاط الأرض يحدق به –ليس لجمال روعة البلاط– ولكن شرود وتوهان.

تحدث النقيب جمال موجهًا كلامه لمالك:

- تعالى برا نقعد على الكنبة فى الصالة نكمل كلامنا شكلك تعبان ومش قادر حتى تقف! وأنا مقدر الحالة اللّي أنت فيها دلوقتى.

وبالفعل تحرك النقيب جمال أولًا وأتبعه مالك إلى الصالة وجلسا سويًا على الأريكة .. كلًا منهما على طرفها.

جلس النقيب جمال فى إرتياح تام .. على عكس مالك الذى جلس على حافتها ضامًا يديه لصدره.

وهُنا دار بينهم حديث ليس بالقصير.

النقيب جمال:

- ممم عرفت من والدك إنك طالب بالسنة النهائية بكلية الطب البشرى وإنك وحيد ملكش أخوات.

رد مالك وقد بدا عليه علامات الحزن والأسى:

- أيوا تمام.

وأردف النقيب جمال وقد أحس منه الاستياء والجزع الشديد فأراد أن يزيل التوتر:

- اعتبرنى زى أخوك وإنى مش ظابط مباحث جى أحقق فى جريمة قتل ، وإننا إتنين بندردش مع بعض مش أكتر ، وحاول تفك وتبدأ تسترجع ذاكرتك عشان فيه أسئلة كتيرة مهمة ، وتركز كويس جدًا قبل ما تجاوب عليها.

الأسئلة دي خاصة بالتحقيق ، ولازم تجاوب بكل تركيز وصدق وحاول متنساش أى حاجة ، موقف ، صوت ، نفس ، كلمة ، التفاصيل ، أهم حاجة التفاصيل أى حاجة ممكن تفيدنا فى التحقيق عشان نقدر نوصل لفك لغز الجريمة ونوصل للجانى بأسرع وقت ممكن.

رد مالك بسؤال لا علاقة له بكلام النقيب جمال:

- خالى اتقتل إزاي؟

لم يندهش النقيب جمال أبدًا من سؤاله وتوقعه بأى لحظة فهو سؤال بديهى جدًا فى هذا الوقت وتلك اللحظة .. فأجاب ليزيح بعض الغموض:

- جالنا اخبارية باللّي حصل واللّي اكتشف الجثة أم رضا مرات سيد بواب عمارة خالك عماد ، مطعون بعدة طعنات نافذة بالصدر لا نعلم عددها ، ولولا إننا فى مدينة متحضرة لقولت إن فيه دب هجم عليه!

زادت ضربات دقات قلب مالك واحتبست أنفاسه من حده الكلام ووصف النقيب جمال .. ونظر إليه باندهاش .. وبدت عليه علامات عدم التصديق.

أخرج النقيب جمال من جيب البالطو الأسود مذكرة صغيرة وقلم حبر أزرق اللون.

وبدأ بإلقاء الأسئلة وتدوين كلام مالك بالحرف الواحد.

النقيب جمال:

- **كنت فين من الساعة الثامنة مساءً الليلة الماضية وحتى الثامنة صباح اليوم؟**

بدأ مالك بأسترجاع ذاكرته وقال:

- **امبارح بعد العصر صحابى كلمونى نزلت معاهم شوية على قهوة فى وسط البلد ورجعت البيت على ٩ تقريبًا ونمت الساعة ١٠ بالليل عشان كنت راجع تعبان جدًا ومرهق وصحيت الساعة ٦ الصبح عشان عندى محاضرات مهمة ، وصلت الجامعة الساعة ٨ تقريبًا وبعدها بنص ساعة والدتى كلمتنى وقالتلى اللّي حصل ورجعت على البيت.**

النقيب جمال:

- **صحابك مين؟ أسمائهم إيه؟**

مالك:

- **طارق وأيمن ونرمين صحابي وزمايلى معايا فى الكلية.**

النقيب جمال:

- مسمعتش أى صوت غريب بالليل وأنت نايم صحاك من نومك؟ أو مقلقتش من النوم تشرب أو حتى تدخل الحمام مثلًا وسمعت أى أصوات غريبة على غير العادة؟

مالك:

- لا أنا نومي تقيل جدًا بنام مش بحس بحاجة ، يعنى حتى لو حاجة أصلًا حصلت مش هحس بيها.

النقيب جمال:

- إمتى آخر مرة شوفت فيها خالك؟

مالك:

- من يومين جه اتغدى عندنا.

النقيب جمال:

- مكنش فيه أى شىء غريب أو مريب وقتها؟ أو حصلت حاجة على غير العادة؟

مالك:

- لا مكنش فيه حاجة يوم عادى.

النقيب جمال:

- خالك مكنش ليه أى أعداء؟

مالك:

- لا معرفش.

النقيب جمال:

- علاقتك بخالك عامله إزاى؟

صمت مالك هنيه وأجاب:

- عادى يعنى خالى ، أنت علاقتك بخالك عامله إزاى؟

النقيب جمال:

- المقصود من السؤال .. كان فيه خلافات بينكم؟ أو العلاقة منقطعة؟ علاقتكم كويسة؟ كان بيحكيلك عنده مشاكل أو حد كان بيهدده مثلًا أنه يقتله؟ كان بيحكيلك فيه مشاكل فى الشغل عنده؟

مالك:

- علاقتى بيه علاقة عادية من شخص عادى لخاله ، ومكنش بيحكلى حاجة.

وبعد الكثير والكثير من الأسئلة المطولة والاتهامات المملة والتحقيقات الروتينية ذات الأسئلة العفنة المحفوظة التى تسبب النرفزة والعصبية والضغط النفسى الحاد والتى لطالما كانت فى الوقت الغير مناسب تمامًا.

وفى نهاية التحقيقات أخبره النقيب جمال أن النيابة سوف تستدعيه هو وأسرته لأخذ الأقوال ولتكملة التحقيقات ومعرفة ملابثات الجريمة .. فعليه أن يستعد جيدًا .. وأى تفاصيل نسى أن يخبره بها وتذكرها فيما بعد عليه أن يطلعه بها فورًا .. وقام النقيب جمال باحثًا عن المقدم شوقى ليخبره بما حدث ويعاونه فى استكمال التحقيق.

جلس مالك وحيدًا على الأريكة وأرجع جسده للخلف ليريح ظهره بعض الشىء .. أغمض عينيه قليلًا وحاول فصل وعيه عن ما يحيط به علّ وعسى يقل الضغط النفسى الذى ينهش فيه الآن.

- ليه بفتكر الحاجات دى وأكنها بتحصل دلوقتى وفى اللحظة دى بالذات؟!

ليه المشاهد دى قدام عينيا وبتتكرر من غير سبب واضح؟!

ليه فضلت موجودة فى ذاكرتى وكأن مفيش ذكرى غيرها فى حياتى؟!

المشاهد هى هى متغيرتش من سنين ولا حتى مشهد واحد اتغير وعمرى ما نسيتها!

ياريت كانت ذاكرتى اتمسحت أو حصلها ضرر وأنسى كل حاجة ، طول حياتى بنسى كل حاجة إلا الذكريات دي.

ليه دايمًا فاكر اللّي كان بيعمله فيا خالى عماد نص ليل الجمعة السبت؟!

القذر دا اللّي أبويا وأمى كانوا بيستأمنوه عليا ، ليه عمل كدا وسببلى كل القهر والخوف والضعف جوايا لما كنت طفل صغير؟

عماد:

- إيه رأيك يا مالك نلعب لعبة حلوة؟

مالك بصوت طفولي:

- لعبة إيه؟

عماد:

- لعبة الغابة!

مالك بصوت طفولى:

- إيه لعبة الغابة دى يا خالو؟!!!

عماد:

- دى لعبة الكبار على طول بيلعبوها وباباك ومامتك كمان بيلعبوها كل نص ليل الجمعة والسبت عشان كدا أنت هنا!

مالك بصوت طفولى:

- لا انت بتضحك عليا مشوفتش بابا وماما بيلعبوا اللعبة دى!

عماد:

- عشان دى لعبة بين أتنين بس! ومينفعش يلعبها أكتر من اتنين عشان هتبوظ ، بس لازم الأول تقلع لبسك كله!

مالك:

- ودى كانت البداية ، كل نص ليل الجمعة والسبت كان بيعمل فيا اللّي هو عاوزه ونفسه فيه ، كنت زى عاهرته اللّي بيشتريها بفلوسه ، بس الفرق كنت أنا من غير فلوس!

طفل صغير مالوش حول ولا قوة ، سنين وأنا بين إيديه زى العروسة القماش يعمل اللّي هو عاوزه وبالطريقة اللّي نفسه فيها ، اللّي مش بنى آدم ده اتجوز مرتين ، وكل جوازه فيهم كان بيخرج منها بمشكلة وفضيحة وعلى قد ما يقدر كان بيحاول يلم الموضوع ، وفى النهاية انتهت حياته مطلق وعايش لوحده فى شقة بملايين زى الكلب!

ومن دى اللّي تقدر تستحمله وتعيش معاه؟! دا واحد ريحته نتنه ، معندوش قلب ولا ضمير ، قذر لأقصى درجة ، خامورجي بالدرجة الأولى ، كل يوم فى كبارية شكل ، بيصرف بجنون على شهواته ونزواته ، وعاهرات ملهاش أول من آخر كانت بتنصب عليه وتخلع.

أعتقد أنه اتبسط إنى جيت الدنيا أكتر من أبويا وأمي ، وخطت مليون مرة عشان يعمل وينفذ القذارة اللّي عملها فيا زمان ، وكبرت وفهمت كل حاجة.

كل مرة بتيجى عينى فى عينيه بفتكر الأيام السودة دى ، كل مرة أسمع اسمه بفتكر الأيام دى ، فى الحقيقة أى حاجة من سيرته بتفكرنى بكل حاجة!

لو كان عليا وكان بأيدى كنت قطعته زى حته القماش وحرقتها بجاز وسخ ، بس مكنش فى ايدى حاجة أعملها ودى كانت أكتر حاجة وجعانى ومأثره فى نفسيتى.

حتى موته متقطع زى الكلاب فى الشوارع مشفاش غاليلى ومش هيشفعله على أنا حاسس بيه جوايا! وبعتذر للكلاب إنى شبهتها بيه!

وكنت أول ما بتشجع وأقول خلاص هحكى لأبويا وأمى كنت بخاف لميصدقونيش ويتهمونى إنى كداب ومعنديش دليل على اللّي بقوله ، أو أنى كنت ساعتها طفل صغير وممكن يكون مجرد خيال طفل مش أكتر ، أو فى أسوء الحالات أمى تصدقنى وتخسر أخوها الوحيد اللّي متبقى لها فى الدنيا دي.

الحقيقة أنى فرحان وشمتان فيه ، الحقيقة أنى من جوايا مبسوط مش زعلان ومضايق ، أنا بس كل حزنى على أمى الموجوعة.

ليلة صاخبة مفجعة لم ينعم فيها أحد بالراحة على الإطلاق .. ضجيج وفوضى وأصوات عالية وصياح من الجميع .. ورجال مباحث وكشف جنائى والعديد من رجال الشرطة .. وها قد وصلت الصحافة أيضًا .. هذا ما كان ينقصنا بالتأكيد.

مرت الساعات عليه طويلة وقاسية .. يفكر ويفكر ويفكر .. يشعر بالاجهاد والارهاق وكأن بجسده مئات الطعنات .. وصداع يكاد يمزق خلايا رأسه ويفتتها .. ولم تسلم روحه من التعب النفسي هى الأخرى.

وأخيرًا وبعد عناء أتى منتصف الليل ورحل الجميع وسكن البيت فى الهدوء مجددًا .. لم يشأ ترك أمه وحيده هذه الليلة فى القهرة ووجع القلب.

وتحرك إلى حجرة والده ووالدته فوجد والده محتضن والدته ويبكيان .. فارتمى بأحضانهم وقبّل والدته من رأسها فانهمرت الدموع من عينيها أكثر كالسيل الجارف فلم ينطق بحرف وظل بجوارها لم يتحرك حتى نامت من تلقاء نفسها من شدة التعب.

*****

بعد يومين .. الأثنين .. الساعة ٨:١٦ صباحًا.

داخل قسم الشرطة.

دخل المقدم شوقى مكتبه مختالًا فخورًا بنفسه رافعًا رأسه كنعامة تزف ليلة زواجها .. بعد تحية العسكرى على باب مكتبه كما يقول الكتاب .. ووراءه النقيب جمال معاونه شارد الذهن.

المكتب صغير الحجم نسبيًا .. يتوسطه سجادة عتيقة لم تغسل أو تنظف منذ سنين .. أمام الباب يقع مكتب المقدم شوقى الخشبى ووراء المكتب نافذه صغيرة الحجم .. وعلى يمين المكتب تلفاز ٢١ بوصة صناعة صينى رديئة .. وعلى يساره أريكة متهالكة من الجلد بلون البنى هبطت على آخرها وبجوارها دولاب صغير الحجم.

القى المقدم شوقى بجسده على المقعد الجلد خلف المكتب وأمامه النقيب جمال على المقعد المقابل ويتوسطهم المكتب الخشبى.

على مكتبه فطاره المعتاد فول وطعمية وبطاطس مقلية بزيت سيارت وبازنجان مخلل وبعض الجرجير المنعش .. موضوعين فى أطباق بلاستيكية وأخرى ستانلس ستيل من أردئ الأنواع .. وخمسة عشر رغيف عيش على الأقل.

شمّر المقدم شوقى عن ساعديه وأرجع طرف القميص حتى مفصل ذراعيه وكأنه يستعد لمعركة .. والتقط رغيف عيش اعتصره بيده ليقسمه إلى نصفين متساويين .. وبدأ طعامه بالفول.

المقدم شوقى:

- ها يا جمال بعد يومين تحريات وقلة نوم قولى بالتفصيل وصلنا لإيه؟

فتح النقيب جمال مجلد ضخم وقال:

- الجثة ياباشا تخص المدعو عماد البحراوى عنده ٥٩ سنة أتجوز وطلق مرتين ، كان رجل أعمال عنده مصنع بلاستيك كبير.

تحدث المقدم شوقى بعصبية باصقًا الطعام من فمه:

- فى إيه يا جمال ما دى عرفناها من يوم ما اتنيل اتقتل هو إحنا هنطلعله شهادة ميلاد؟! تفاصيـــل عاوز تفاصيل عن الجريمة!

وهنا كتم النقيب جمال غيظه وبداخله صوت يحدثه:

- هو مش انت اللّي اتنيلت وقولت بالتفصيل! .. وقال: حاضر ياباشا روق انت بس وكل على أقل من مهلك ، أنا عارف إنك منمتش من يومين ، نخش على اللّي بعده!

وأكمل قائلًا:

- بعد التحريات وسؤال أهله وصحابه ومعارفه قبل وقوع الحادث إذا كان حد شافه أو كلمه أو حتى قعد معاه ، الراجل دا سعادتك كان سهران مع صحابه وكانت ليلة حمرا وسكر على الآخر وسابهم ومشى على ١٠:٣٠ مساءً وكان مروح على البيت ، وكل ليلة سهر فى كبارية شكل.

المقدم شوقى:

- كـمـل.

النقيب جمال:

- الراجل ليه أعداء زى الرز ، تقريبًا محدش كان بيطيق أمه ، حتى اللّي طلقهم مكنش سايبهم فى حالهم ، المهم حققنا معاهم كلهم واحد واحد وخد مننا وقت ومجهود كبير ، والنيابة استدعت كتير منهم وانت عارف الإجراءات بقى ياباشا.

المقدم شوقى:

- عارف ياخويا عـارف.

النقيب جمال:

- تقرير الطب الشرعى بيقول إن الراجل دا اتضرب على حنجرته ضربة قوية ، بس مش دا السبب الرئيسى اللّي أدى للوفاة مباشرة ، لأنه بعدها أطعن ٣٤ طعنة فى صدره وحنجرته وبطنه بطريقة عشوائية لدرجة إن أعضاءه الداخلية كلها خرجت لبره! وإن أداة الجريمة سكينة مطبخ.

وقت الوفاة صعب تحديده بدقة بسبب الأمطار والسيول فى اليوم دا اللّي تقريبًا حولت المكان لحمام سباحة ، والطبيب الشرعى حدد وقت الوفاة بين الساعة الثانية عشرة صباحًا وحتى الساعة الثانية صباحًا بعد منتصف الليل.

بعض متعلقاته كانت مفقوده ومنها موبايله وخاتم دهب ، أما محفظته كانت مرميه جانبه ومفهاش ولا مليم ، وكاسيت العربية مسروق.

وبسبب الأمطار والسيول كل الأدلة والبصمات راحت فى الهوا سعادتك ، وتوجهت بنفسى لشركة الإتصالات بخصوص سجل مكالماته فى الفترة الأخيرة وكانت كلها تليفونات شغل مش أكتر والباقى شوية نسوان لزوم الشقاوة ، وكمان عشان أقدر أتتبع حركة الموبايل ، بس الموبايل اتقفل ساعة الحادث! والغريب بقى ياباشا إن الموبايل اتفتح نفس يوم الجريمة بس الساعة ١٢:١٧ الضهر بالظبط عند كوبرى قصر النيل وبعدها ب٣ دقايق اتقفل تانى! والوقت دا كنا لسه فى شقة المهندس على محسن بنكمل التحقيق!

ومن تقرير الطبيب الشرعى والحاجات اللّي اتسرقت أعتقد إنها حادثة سرقة عادية جدًا وهتتقيد ضد مجهول فى الحالات دي.

ودا ياباشا ملف فيه كل حاجة عن الحادثة ، صور الجثة وصور لشقته وعربيته ، وصور للمنطقة كلها ، والتحقيقات اللّي أنا قومت بيها ، وأقوال المربع السكنى كله ، وغير كدا كمان تقرير الطب الشرعى والنيابة.

قال المقدم شوقى باستهزاء وقله ذوق:

- انت إزاى دخلت المباحث؟ دا تقرير سباك مش ظابط مباحث!

تفاجئ النقيب جمال بكلام المقدم شوقى وقال:

- ليه بس كدا ياباشا!

المقدم شوقى:

- التقرير بتاعك دا تبله وتشرب مايته وميدخلش فى دماغى بنكله .. التقط لقمة أخرى من الفول وأكمل: ولما هى حادثة سرقة الواد دا مسرقش العربية كلها ليه؟ دى بالنسباله أكبر غنيمة! دا أى عيل شمام هيريل على حاجة زى دى ، ولا هو كان مزنوق بس فى قرشين فقال يسرق الموبايل والكاسيت يفك بيه زنقته؟!

وال٣٤ طعنة دول تسميهم إيه؟! كان بيهوشه فغزه بالغلط؟ هو فيه حد بيسرق بيقتل ب٣٤ طعنة؟ أخره يغزه ويجرى! دا غير إنه أصلًا كان سكران ، يعنى مش محتاج منه أى مجهود!

ومفيش حاجة اسمها أصل الأمطار والسيول دمرت كل الأدلة! لازم هتلاقى خيط أو دليل يوصلنا لحاجة مفيش جريمة كاملة يا سيادة النقيب جمال يا معاون المباحث! العيلة دى أنا شاكك فى أمرها أوى وبالذات الواد الفرفور اللّي اسمه ملاك دا!

النقيب جمال:

- أممم قصد حضرتك مالك يا فندم.

المقدم شوقى:

- أيًا كان يعنى ، وعملتوا إيه بعد ما حققتم مع سكان عمارة عماد والمربع السكنى كله؟

النقيب جمال:

- العمارة اللّي كان ساكن فيها مفهاش غير واحد متجوز ومعاه ولدين ومسافرين بقالهم أكتر من شهر.

المقدم شوقى:

- وبواب عمارة عماد؟

النقيب جمال:

- مفيش أى شبهه عليه وسجله نضيف.

المقدم شوقى:

- الواد البواب دا يشرف معانا فى القسم وتعملوا الواجب معاه والعيلة دى تتحط تحت المراقبة ٢٤ ساعة لمدة أسبوع ، شهر ، سنة ، المهم أطلع بدليـل ، وهتفهمهم إن المحضر اتقفل طبعًا وأتقيد ضد مجهول بدافع السرقة وهنستنى الغلطة اللّي هتكشف كل حاجة!

النقيب جمال:

- تحت أمرك يا معالى الباشا.

وأستأذن النقيب جمال من المقدم شوقى بالأنصراف .. ونفذ أوامره بالحرف الواحد.

*****

انقلب البيت رأسًا على عقب وتحول إلى بيت موحش وكئيب تحوم عليه غيمة الحزن والصمت .. مأساة فى حياة أسرة مالك يعيشونها بكل مر وأنين .. قضية قتل بشعة وغامضة مازل التحقيق فيها جاريًا ومازال البحث عن الجانى .. المباحث تحقق وتسعى لإكتشاف ملابثات الجريمة .. والصحافة تستغل كل كلمة هنا أو هناك لتأخذ السبق الصحفى لتجعل من القضية شهرة للمجلة أو القناة.

ولكن مالك قرر أخيرًا النزول إلى الجامعة وكسر غياب عدة أيام دراسية.

دخل الحرم الجامعى وأخرج هاتفه المحمول من جيبه واتصل بصديقه طارق.

مالك:

- إيه يا معلم انت فيــن؟

طارق:

- إحنا عند الكافتيريا منتظرينك.

مالك:

- دقيقة وهتلاقينى عندك.

وأغلق المكالمة وغير طريقه للكافتيريا.

وقبل أن يصل إليهم بعدة أمتار لمح الموجودين على الطاولة أنهم طارق وأيمن ونرمين و .. مهلًا مهلًا .. إنهاا .. نعم إنها هى!

انقبض قلبه بقبضه توقف فيها نفسه وتشتت فى حركته .. وبعدها أحس بنغزه فى قلبه جعلته يدق بعنف.

نعم إنه لم يراها منذ عام ولم ينساها لحظة ما حييها أبدًا .. لم تغب عن باله قط إنها حب حياته وكيانه وكل شىء .. مريم التى لو طلبت نجوم السماء لأتى بها إليها راجيًا رضاها .. حبيبته وحياته وروحه وكل كيانه.

مريم الهواء الذى يتنفسه .. والتى لطالما رفعها على كفوف الراحة وكل شىء تتمناه قبل حتى أن تطلبه يأتيها مجابًا على أكمل وجه وكما ترغب.

مريم فتاة مدللة لأقصى الحدود .. ذات مستوى إجتماعى مرموق .. صاحبة شخصية قوية عنيدة .. ملامحها أوروبية لا تمت بالشرقيين بصلة لا من قريب ولا من بعيد وذلك السبب الرئيسى فى نجاحها كموديل إعلانات.

يعرف الجمال عن أحد الفلاسفة بأنه صفة تلاحظ فى الأشياء فتبعث فى النفس رضًا وسرورا .. ويشير هذا التعريف حرفيًا إليها .. مريم طويلة القامة جسدها مفرود وممشوق .. تمشى برشاقة رافعةً رأسها لأعلى .. شعرها كالحرير باللون البنى المميز اللامع تعدى طوله محيط وسطها .. يتطاير بكل إتجاه كلما أتت نسمة هواء خفيفة تداعب ما بين خصلاتها .. ذات إنحناءات وتقوسات عند محيط الخصر جعلها تتمايل يمينًا ويسارًا بطريقة ملفتة للغاية .. شقراء بعينين زرقاوين بلون نقاء البحر لدرجة انك لو نظرت إليهم سرحت بهم عن غير عمد .. وبشرة كبياض الثلج الناصع .. مازحها مرة قائلًا انها لو فكرت فى التقديم لمسابقة ملكة جمال مصر لأخذتها بجدارة حتى دون منافسة .. وقد صدق.

تعرف عليها فى العام الأول بالجامعة .. بدأ الموضوع كالأفلام الهندية من أول نظرة حتى تعلق قلبه بكل ما فيها .. وقرر مصارحتها بحبه الذى أشعل قلبه حتى خرج الدخان من صدره .. وصارحته هى أيضًا وارتبطا منذ ذلك الحين.

ولكن ككل شىء دوام الحال من المحال .. ولم يستمر ارتباطهما طويلًا .. تركته على غير رجعه بعد أن تعرفت على ذلك الشاب الثرى من عائلة ذات الحسب والنسب .. والده

يمتلك أكبر شركة دعاية واعلان بالشرق الأوسط .. رأت فيه مصباحها السحرى الذى سيحقق لها ما تتمناه وتطمح إليه.

كم كره فعلتها وما سببت له من قهر ووجع قلب .. تمنى أن يمزقها هى وحبيبها .. أقصد الذى أصبح الآن خطيبها بسكين صدئة جراء ما أقترفته بحقه.

أعتقد فى بادئ الأمر انه أغواها ولعب بعقلها حتى لانت له .. لكن الأشخاص ليسوا بمحفظة تقدر على سرقتها متى شئت ولا لعبة تتحكم بها وقتما أردت .. إنها بشر من لحم ودم تعرف ما لها وما عليها .. ذهبت إليه بملء إرادتها وكامل وعيها .. أختارت مصلحتها على الحب.

ولم تكتفى بذلك بل زادت وقاحتها بأن تنهى علاقتهم بطريقة وضيعة .. أرسلت إليه رسالة رخصية ب١٤ قرشًا تقول فيها "كل شىء قسمة ونصيب".

لا تعاتب أحد يدرك ما يفعله.

وما أن رأوا مالك قادمًا من بعيد حتى وقف الجميع لتحيته.

سلم مالك أولًا على طارق بحرارة واحتضنه ثم قال له طارق:

- البقاء لله ، ربنا يرحمه ويغفرله.

مالك:

- **ونعمة بالله.**

أيمن:

- **البقاء لله يا مالك.**

مالك:

- **ونعم بالله.**

نرمين مدمعة العينين:

- **البقاء لله يا مالك والله زعلت أوى.**

مالك:

- **ونعم بالله ربنا يخليكي.**

حتى وصل إلى مريم .. تلك اللحظة التى توقف فيها الوقت قليلًا .. لتتفجر داخله المشاعر كالبراكين فى تلك الثانية مجددًا محاولًا بأقصى ما لديه من عزم فى السيطرة عليها.

وعلى النقيض تمامًا ملامح البرود واللامبالاة خطت بدقة متناهية على قسمات وجهها التى حاولت ضخ ملامح الحزن والأسى والأسف على طيات ملامحها من أجل مواساته والتى بدت مصطنعة لأبعد ما يكون وقطبت حاجبيها وقالت:

- البقاء لله يا مالك أكيد انت زعلان جدًا ، كان نفسى نتقابل فى ظروف أحسن من كدا أتمنى نبقى صحاب زى زمان!

أصدقاء؟ عن أى أصدقاء تتحدث؟ يا لبرودها وقسوة قلبها .. لم يكونا أبدًا أصدقاء .. لقد كانا أحباب متقاربين لأقصى درجة .. لدرجة أن الناس ظنوا انهم توأمين .. كانا يفهمان بعضهما البعض حتى دون التحدث .. طريقتهم واحدة .. أسلوبهم واحد .. روحين بجسد واحد.

حتى وإن أختلفا أو تشاجرا لم يدم شجارهما طويلًا ويعودان لبعضهم البعض أفضل من ذى بدء .. لم يقصر معها فى شىء .. كان أفضل ما يكون عليه الحبيب.

لقد باعته بأرخص من التراب .. وهان عليها كل شىء.

وقال مالك محدثًا مريم:

- شكـرًا.

وجلس الجميع على الطاولة الدائرية وساد صمت كالمقابر وأخذ ينظر الجميع لبعضهم البعض فأحست مريم انها أدت الواجب وما عليها ولا داعى لبقائها أكثر من ذلك فنطقت قائله:

- أستأذنكوا أمشي أنا عشان عليا محاضرة مهمة.

وقال مالك فى نفسه:

- فى ستين داهيـة.

ورحلت مريم.

*****

فى نفس ذات اليوم .. الساعة ٩:٢٤ مساءً بمكتب المقدم شوقى داخل قسم الشرطة.

طرق النقيب جمال الباب ودخل على المقدم شوقى المتكئ على كرسيه الجلد موجهًا وجهه ناحية التلفاز.

النقيب جمال:

- مساء الخير معالى الباشا.

قال المقدم شوقى وهو مازال على وضعه دون الإلتفات للنقيب جمال:

- الجديد يا جمال!

النقيب جمال:

- زى ما طلبت سعادتك ياباشا رشقنا رجالتنا فى كل حته ومراقبة ٢٤ ساعة يعنى عيونا فى كل مكان ومفيش أى جديد الأمور طبيعية جدًا ومفيش حاجة تثير الشك.

اعتدل المقدم شوقى فى جلسته وأخرج سيجارة من علبته وأشعلها .. ونظر نظرة مطولة من إحدى نظراته المشمئزة للنقيب جمال وأخرج نفس دخان وقال فى جدية:

- بص يا جمال ، القضية دى كبيرة ومش سهلة ، ومحتاجة تفتيح مخ ، وأى خيط ولو من بعيد أو ضعيف لازم تمشى وراه وتجيب اخره.
قضايا القتل بالذات بيحاول القاتل إنه يخفى أي دليل يؤدي ليه بأي سبيل ممكن ، ومهما طال الوقت لازم يتجاب ، سواء خطأ منه بقصد أو من غير قصد ، أو الصدفة اللّي بتكشفه ووقتها بيقع ومحدش بيسمى عليه وساعتها لما يقع تحت ايدى أنا مش هرحمه!

القضية دي مش لازم تطول عن كدا ، إبذل مجهود أكبر وتعالى على نفسك شوية ، عشان أنت عارفنى مبرحمش فى الشغل .. واتفضل شوف شغلك!

عض النقيب جمال على شفتاه من كلام المقدم شوقى المتضمن بصيغة غير مباشرة إهانة وتوبيخ ورد قائلًا:

- تمام سعادتك هبذل قصاري جهدى وهكون عند حسن ظن حضرتك.

المقدم شوقى:

- طبعًا طبعًا أنا واثق من كدا! واقفل الباب وراك وانت خارج!

وقام النقيب جمال من مكانه والغضب والسخط ينفجر من وجهه .. وخرج من المكتب لأستكمال باقى التحقيقات.

*****

اليوم التالى .. الساعة ٥:٤٢ مساءً.

فى شقة مالك.

مالك جالس وحيدًا بغرفته .. ممتدًا على السرير واضعًا يديه اليمنى أسفل رأسه تائه البال يفكر فى ألف شيء وشيء.

وعلى المكتب الخشبى الLaptop يعمل على إحدى أغانى الPlaylist المفضلة لديه.

ويقطع حبل أفكاره واستمتاعه بالموسيقى طرقات على باب.

مالك:

- اتفضل.

والده:

- إزيك يا حبيبي؟

مالك:

- كويس الحمدلله يابابا.

والده:

- حبيبي أنا عاوز أتكلم معاك شوية.

مالك:

- اتفضل طبعًا يا بابا.

ضغط والده على زر إيقاف الأغاني على الLaptop واعتدل مالك فى جلسته.

جلس والده على طرف السرير بجواره وقال:

- هممم أنت عارف اللّي حصل واللّي إحنا كلنا بنمر بيه ، وإزاى مأثر بالسلب على نفسيه والدتك بشكل كبير ومخليها منهارة طول الوقت وبقالها فترة مش بتروح الشغل ، ولحد النهارده مش قادره تعدي من الشارع اللّي مات فيه خالك الله يرحمه ، فحبيت أخفف عنها شوية وأغيرلها الجو وأرجعها تاني لطبيعتها ، عشان طول ما هى هنا هتفضل فاكرة كل حاجة وأعصابها هتتعب زيادة ، فأنا اقترحت عليها نسافر برا البلد شهر ولا حاجة أخرجها من اللّي هى فيه.

وكمان بينى وبينك عندي شغل كتير مهم لازم أخلصه برا البلد ومتأجل بقاله مدة كبيرة ، فهتبقى مصلحة من الطرفين أخلص أنا شغلى و"عليا" تغير جو وأحاول أعدل من نفسيتها شوية ، بس فيه مشكلة صغيرة ، والدتك مش موافقة على السفر نهائي وقافله دماغها ، بس أنا هعرف إزاى أأثر عليها وأقنعها.

مالك:

- أنا متفهم الموضوع دا جدًا يابابا واللّي تشوفه طبعًا ، والسفر دا أنا شايف إنك صح فيه ومودها هيتغير أوي ، أنا أهم حاجة عندي نفسية ماما تبقى كويسة ، وترجع زي الأول وأحسن.

قال والده وعلى وجهه إبتسامة رضاء من كلام ابنه:

- ماشى يا دكتور مالك إن شاء الله من بكرا هرتب للموضوع وبالكتير أسبوع ونكون مسافرين.

مالك:

- على خيرة الله.

المهندس علي محسن والد مالك وصاحب شركة المحسن للإستيراد والتصدير .. يبلغ من العمر ٦٥ عامًا متزوج من الدكتورة علياء البحراوى .. دكتورة بكلية الأداب جامعة عين شمس .. تبلغ من العمر ٦٨ عامًا .. نعم هى أكبر من والد مالك بثلاث سنوات .. إنه الحب يا عزيزي.

*****

وبعد عدة أيام.

الثلاثاء .. الساعة ٦:٣٥ مساءً.

- **خد بالك من نفسك يا حبيبي عشان خاطري ، ولو احتجت أى حاجة كلمنى على طول وأنا هتصل بيك كل يوم أطمن عليك ، أدفى كويس الجو برد أوى وساقعة عليك ، وأقفل على نفسك باب الشقة كويس ومتفتحش لحد غريب ومتتأخرش بالليل وسوق على مهلك "الدكتورة علياء البحراوى موجهه كلامها لمالك فى المطار".**

والده:

- **مش عاوزاه ياخد الرضعة بالمرة؟؟ ابنك كبر خلاص على الكلام دا وبقى راجل بطلى الخوف الزيادة دا عليه خليه يعتمد على نفسه ، ابنك بقى دكتور يا دكتورة!**

والدته:

- **ملكش دعوة اخرج أنت منها بس! هتوحشني يا حبيبي كلمنى كل يوم ، لا كل ساعة ها ، متنسانيش ، وأنا هجبلك من برا كل حاجة نفسك فيها.**

والده:

- يا مدام كفاية دلع فى الواد الطيارة هتفوتنا ، أبقى أبعتيلو الوصايا العشرة على الWhatsApp.

قال مالك مطمئنًا والدته:

- متخافيش عليا يا ماما أنا هبقى كويس خدى بالك انتِ من نفسك أوي.

جذب المهندس على الدكتورة علياء من يديها لأنه لو تركها أكثر من ذلك لبقيت مع مالك شهر فى المطار.

سلامات كثيرة وقبلات ترسلها والدته مودعاه من بعيد وعيونها مدمعة تحاول إخفائها حتى اختفت عن الأنظار وقلبها وعقلها منشغل به.

خرج من المطار بعد وداع حار لوالديه وتوجه إلى سيارته مغموم وحزين .. تائه البال يشعر بالوحدة والضيق بعد أن غادر والديه البلاد .. وما زاد الطين بله تذكره لحبيبته السابقة مريم التى لا يزال يحبها وتشغل باله ويفكر فيها دومًا .. والتى ظن أنه نسيها ونسي كل شيء عنها ولكن عند أول لقاء تحطمت كل الأسوار المنيعة .. الأسوار والحواجز التى لطالما بناها واعتقد أنها ستمنعه من اللهفة إليها عند أول لقاء.

ركب سيارته وسرح بخياله ورجع سنين طوال وتذكر أول مرة رأى فيها مريم فى الجامعة وكيف خطفت قلبه وعقله من أول نظرة وكيف عبر لها عن شعوره إتجاهها وأخبرها بحبه الشديد لها وأنه يفكر فيها دومًا ولم تغب عن باله لحظة واحدة وكيف استجمع شجاعته وأخبرها بذلك وجهًا لوجه .. وتذكر عندما ضحكت من تعابير وجهه واحمرار خديه فى خجل حين نطقها .. ووقتها هى أيضًا صارحته بحبها له وأخبرته انها انتظرته لكي يبدء هو أولًا بالمصارحة لتتبعه هى بعده فورًا وأنه على حد قولها "أخيرًا أبو الهول نطق دا أنا كنت قربت أتشل منك ويجيلي جلطة ، دا أنا كنت خلاص جبت أخري وكنت هاجي أقولك أنا" .. وحينها قفز من الفرحة وحضنها حضن لم ولن ينساه أبدًا .. أول حب وأول حضن.

مر الوقت عليه مريرًا فى طريق العودة .. حتى وصل الشارع الذى يقطن به وركن سيارته بجوار سور العمارة حديثة البناء .. أطفئ محركها وتنهد تنهيده حزن إنها أول ليلة له فى غياب أبويه .. ونزل من السيارة وأغلقها جيدًا وصعد الدرج ولما يكن فى رأسه سوى شيء واحد .. النـــوم.

ونام فى تمام الساعة التاسعة مساءً.

*****

اليوم التالى.

استيقظ مبكرًا كعادته دومًا فى تمام الساعة ٦:٠٠ صباحًا.

أطفئ صوت المنبه المزعج .. وحلق قليلًا بسقف الغرفة وتذكر انه أول صباح بدون والديه .. انه وحيد بالبيت وبالحجرة.

دقائق وتحرك من على سريره .. أزاح الستائر من أمام النافذة ليسطع ضوء شروق الشمس كامل حجرته.

فتح دلفتى الدولاب بكلتا يديه وأخذ بعض الملابس الداخلية للأستحمام .. دخل الحمام وقام بتدفئته بشكل ممتاز.

أنهى استحمامه فى نصف ساعة وخرج مرتيدًا روبه البيج بعد أن جفف شعره وجسده جيدًا.

فتح دلفة الدولاب من جديد واخذ منها بعض الملابس.

Sweatshirt أحمر .. وبنطال Sweatpant أسود .. وScarf كحلي .. وارتداهم جميعًا.

وضع على شعره بعض كريمات التسريح ومشط شعره بعناية .. وبرائحة عطر فرنسية خلابة غرق ملابسه من أولها لآخرها.

التقط هاتفه المحمول .. والمفاتيح .. والبالطو من على الطاولة الزجاجية وتوجه إلى باب الشقة.

وأخيرًا ارتدى كوتشي Nike برتقالي اللون.

فتح باب الشقة ونزل سريعًا على الدرج.

فتح باب سيارته وأدار المحرك وتحرك مباشرة إلى كليته.

وصل محاضرة الساعة ٨:٠٠ صباحًا فى تمامها وكان فى انتظاره أصدقائه.

يومًا طويلًا مملًا بحق شدت أعصابهم فيه جميعًا .. وكان مزدحمًا بخمس محاضرات .. وما أرهقهم أكثر ما فاجأهم به أحد الدكاترة بامتحان على غفله .. وأجاب الجميع إجابات سيئة.

أنهوا محاضراتهم فى تمام الساعة ٦:٣٠ مساءً واقترح عليهم أيمن بالذهاب للكافتيريا للغداء لأنه على حد قوله "هيموت من الجوع ومش قادر يصبر لحد ما يروح".

إتجه الجميع إلى الكافتيريا وجلسوا سويًا على طاولتهم المفضلة .. وبدافع الشهامة اقترح طارق بالذهاب ليحضر لهم الطعام بعد أن أخبره كل واحد بطلبه.

بدء أيمن حديثه لمالك قائلًا:

- مفيش أى أخبار جديدة عن حوار قتل خالك؟

قال مالك فى نفسه:

- قتل خالى؟ طول عمرك غشيم فى كلامك يا أيمن.

نظر له مالك بنفور وقال:

- لا مفيش جديد!

وأكمل أيمن قائلًا:

- بس أنا أعرف أن أبوك علاقاته كتيرة وممكن يقلب الدنيا ويعرف حصل إيه وبالتفصيل؟

ضحك مالك داخل نفسه وهو يعلم أن والده مستحيل أن يحدث أحد من معارفه من أجل خاله عماد!

قال مالك:

- آه أكيد كلم ناس بس أنا معرفش التفاصيل إيه!

أيمن:

- تحب أكلملك أبويا أشوفلك آخر الحوار دا إيه؟

شعر مالك بالضيق لكثرة أسئلة أيمن وكأنه وكيل نيابة يقوم باستجوابه بإلحاح .. فالحوار بالنسبة له مات وأدفن ولا يريد أن يسمع تلك السيرة مرة أخرى .. فوضع يديه بجيبه وأخرج هاتفه المحمول "يمكن يحل عن دماغه".

وهنا وصل طارق بالطعام ولمح مالك فاتح Profile مريم على الFacebook.

إنحنى طارق قليلًا فوق كتف مالك ووضع وجهه مباشرة أمام شاشة الهاتف وقال:

- مش دا برضو Profile مريم؟!

وهنا نزلت جملة طارق على مالك كالدش البارد وكأنها فضيحة لإحدى الفنانات المبتذلة وتم الكشف عنها .. ونظر الجميع لمالك فى آن واحد منتظرين إجابة واضحة وقاطعة منه .. حاول مالك التهريب بذكاء فقال:

- ما أنت عارف أنها بتنزل حاجات مهمة عن الإمتحانات على الProfile بتاعها.

قهقة أيمن بسخافة بعد أن شاهد هو الآخر شاشة الهاتف وقال:

- إيه دا بتنزل حاجات مهمة على صور الProfile بتاعها؟!

أحس مالك بالضيق من كلام أيمن فهو فى ضغط نفسي شديد "ومش ناقص كلام مالوش لازمة".

تحرك من مكانه وأراد الانسحاب وقال:

- أنا همشى عشان تعبان وعاوز أرتاح.

لم يمنعه أحد .. فهم يعلمون جيدًا أنه فى مزاج سئ لا يحاسب عليه .. تحرك من الجامعة وبدا على وجهه الغضب والضيق وأحس بضيق نفس.

اتجه إلى الجراج .. وركب سيارته وانطلق عائدًا إلى البيت.

الساعة ٨:٥٨ مساءً.

وصل الشارع الذى يقطنه .. وقد غطى سواد الليل المكان.

ركن سيارته وأغلقها جيدًا .. صعد الدرج حتى وصل إلى باب شقته .. وقبل أن يفتح الباب انقبض قلبه وشعر بشيء غريب بداخل روحه أول مرة يشعر به لا يعرف ماهو.

فتح الباب ودخل البيت .. وأغلق الباب وراءه بأربعة أقفال وخلع حذاءه.

أحس بشيء غريب اخر فى كل خطوة يخطوها نحو غرفته ولا يفهم ما هذا الشعور أيضًا .. وقبل أن يفتح نور غرفته سحبه شخص ما من رقبته بعنف كان مختبئًا بداخلها!

وهنا بدأت معركة قوية فى الظلام الحالك .. لكمات هنا وهناك .. ضرب بكل مكان بلا رحمة .. خربشات .. خبطات .. تكسير .. دماء .. سب وقذف .. وكان لمالك النصيب الأكبر من الضربات واللكمات حتى بدأت قواه بالتلاشي ودارت فى عقله تخمينات لا نهاية لها .. أهو الرجل الذى قتل خاله؟ أم انه مجرد لص كان ينوى سرقة الشقة وبالصدفة التقاه؟ فى كل الأحوال قرر الا يدعه يتكمن منه مهما كلفه الأمر.

لم تفلح أيًا من مقاومته فى الصمود أمام هذا الشخص الغريب فلقد كان أقوى منه بمرتين على الأقل .. غير أنه كان يجيد ضربات الشوارع على طريقة أفلام البلطجة والهمجية.

وبعد عراك لم يستمر طويلًا أطاح الشخص الغريب بضربة قوية على رأس مالك أفقدته توازنه وخر مغشيًا عليه لفترة ليست بالقصيرة!

وبعد ثلاث ساعات و٣٩ دقيقة.

رويدًا رويدًا استطاع فتح عينيه .. وبدأ يبصر قليلًا والصورة توضح أمامه بالتدريج .. إلا أنه شعر بصداع بغيض كاد أن يفجر رأسه ويخرج من عينيه.

المشهد كالتالى .. مالك جالس على الأرض والنور مضاء .. مربوط من يديه خلف ظهره فى سرير حجرته باحكام شديد .. حتى أنه لا يستطيع التحرك ولا سم واحد .. ويبدو أن هذا الشخص يعرف ما يفعل .. والأهم من ذلك أن مالك مازال حيًا .. هذا غريب!

رفع رأسه برويه حتى لا يزداد الصداع برأسه .. فوجد ذلك الشخص أمامه مباشرةً جالس على مقعد .. وشيئًا فشيئًا بدأ يرى بوضوح أكبر .. ويا ليته لم يرى ما رأى الآن أو أنه فقد بصره ولم يرى ملامح ذلك الشخص .. ياللعجب!

الشخص الغريب الجالس على المقعد هو نسخة طبق الأصل منه وكأنه هو ولكن فى عالم موازى .. العين .. الشعر .. الأذن .. الأنف .. لون البشره .. كل شىء .. كل شىء لدرجة أن مالك شعر أنه ينظر فى مرآة! إنه يشبهه لدرجة الاستنساخ الذى لطالما تحدث عنه العلماء.

مالك مصدوم .. عينيه تتفحصان الشخص الغريب كأشعة اكس وصولًا للعظام .. يتفحصه وكأنه تحفة فنية معروضة صنعت للفت الإنتباة وشد الزبائن إليها.

تفجرت فى رأسه ملايين الأسئلة المنطقية واللامنطقية .. من هذا؟ وكيف يشبهه إلى تلك الدرجة الغير معقولة؟ ومن أين أتى؟ ولما فعل به هذا؟

خال إليه فى البداية أن ما يحدث هو مجرد حلم ولا تفسير اخر .. وحاول اقناع نفسه بذلك .. حلم غريب لطالما حلم بمثله من قبل وثوانٍ وسيستيقظ!

أو أن الضربة اثرت على عقله فبدأ بالتخريف مثل تأثير الهذيان بعد جرعة تخدير .. تبًا عقله غير متوازن بالمرة.

وكل هذا والشخص الغريب ينظر إليه ويضحك بشدة من تعابير وجهه وشدة تعجبه واندهاشه.

وهنا قطع الشخص الغريب اندهاشه الطويل وقال:

- أنا كمان زيك بالضبط أول مرة شوفتك فضلت متنح كدا ، دا ممكن كمان أكتر منك!

قال مالك فى إضطراب وتعجب:

- أنت مين؟ وإزاى شبهى أوي كدا؟!

الشخص الغريب:

- ودا سؤال برضو يسأله دكتور زيك ، المفروض تبقى مفتح أكتر من كدا ، أمال العلام دا كله كان لازمته إيه؟! .. "قالها فى تهكم واستهزاء".

وأكمل كلامه:

- بس أنا مش هطول عليك ، أنا مراد أخوك وبالأصح أخوك التوأم!!

ماذا؟ أخاه التوأم؟ كيف يعقل هذا؟ إنه وحيد أبويه اللذان لم ينجباه سواه! ولو كان كلامه صدقًا لما لم يخبراه به من قبل؟ ولما ظهر الآن وفى هذا التوقيت بالتحديد؟

وهنا قطع مراد تفكيره الذى كاد أن يودى به إلى المس والجنون الكلى وقال:

- أنا حسك بدأت تتجنن وعينك عماله تلف فى كل حته ، أنا هريحك وهحكيلك على كل حاجة ، بس قبل ما ابدأ فيه حقيقة هتسمعها وممكن تخليك تتجنن أكتر أو حتى تجبلك سكتة قلبية!

ماذا؟ حقيقة أخرى ستجعله يجن أو يصاب بسكتة قلبية؟ حقيقة أفظع مما سمعه من قبل؟

حاول مالك تمالك أعصابه وقال فى تردد:

- حق..حقيقة إيه؟؟!!

قال مراد:

- المهندس على محسن مش أبوك والدَكتورة علياء مش أمك!!

أكان تأثير الضربة بتلك الشدة لتجعله يسمع كلامًا خاطئًا؟ أم أن الهذيان أشتد عليه وجعله يتوهم سماع أشياء؟

شعر مراد أن مالك لا يستوعب حقيقة ما سمعه وبدت عليه علامات الصدمة.

وأكمل قائلًا:

- مش قولتك حقيقة ممكن تخليك تتجنن أو تجبلك سكتة قلبية أديك بدأت تتجنن أهو .. "قالها وهو يضحك بصوت عال".

لم ينطق مالك بأى حرف.

واستأنف مراد:

- فتح معايا مخك كدا وركز ، أكيد عاوز تعرف كل حاجة ، وفى نفس الوقت انت شايفني واحد بيحوّر عليك حقك طبعًا.

فجأة لقيت واحد متعرفهوش وفى بيتك لا عارف جه منين ولا أصله منين ونسخة منك ، ضربك وخنقك وعورك وكتفك زي الخرفان كمان ، حقك! أنا لو منك مش هصدق .. قالها مشوحًا بيديه وأكمل: عشان كدا هحكيلك كل حاجة بالتفصيل وبالأدلة والكلام دا على لسان آنسة ثناء!

اعتدل مراد فى جلسته وأكمل:

- المهندس علي محسن كان بيموت فى دباديب الدَكتورة علياء ووعدها أول مايخلص علامُه هيتجوزها وفعلًا خد الشهادة من هنا ومتنهاش كلمة وراح اتقدملها ، بس أبوها مكنش موافق خالص على الجوازه دي عشان لامؤاخذة الدَكتورة أكبر من البشمهندس ب٣ سنين ، ومع زن البشمهندس وانه

اتقدملها مرة واتنين وتلاتة والدَكتورة حلفت ما هتتجوز غيره وافق أبوها فى الآخر غصب عنه وفعلًا اتجوزوا.

ومع كل الحوارات اللّي عملوها دي عشان يتجوزوا طلعوا نحس فى الآخر! عارف ليه؟!

مالك:

- .....!!!

واستطرد مراد قائلًا:

- عشان الدَكتورة طلعت مابتخلفش! أيوا مابتخلفش وعندها مرض اللهم احفظنا يعنى ، ومستحيل تخلف أبدًا ودا تعبها نفسيًا يا عين أمها ، واللي أثّر فى نفسيتها أكتر إنها كانت كسرت الثلاثين وانت عارف بقى الستات لما تكسر التلاتين.

الله يباركله بقى البشمهندس لف بيها على دَكاترة الدنيا كلها جوا البلد وبرا البلد دا حتى الدجالين راحلهم تخيل الراجل اتهبل وبقى يروح لدجالين ، بس برضو مفيش فايدة ، القدر قال إنها مابتخلفش ومش هتخلف أبدًا!

ومن يومها اسودت الدنيا فى عينيها ، لحد ما صحبتها آنسة ثناء أعطتلها أعظم أمل ممكن يجى لواحدة ست محرومة من العيال.

آنسه ثناء دي تبقى مديرة دار النور لرعاية الأيتام ولمؤاخذة العيال بتوع الإحتياجات الخاصة ، جت واتكلمت معاها وقالتلها إيه رأيك يا دَكتورة يكون عندك ولد؟ لا مش بس ولد دول اتنين توأم!

ساعتها آنسة ثناء بتحكيلى إن الدَكتورة وشها نور من الفرحة زي البدر ، وقالتها أكيـد نفسى بس إزاااي؟؟!!

قالتلها إمبارح الفجر البنت رضوى اللّي معايا فى الدار كانت بايته اليوم دا فى المكان ، والبنت صحيت تصلي الفجر وهى ماشية لقيت ولدين زى القمر على باب الدار حد سابهم ومنعرفش أصلهم ولا فصلهم وسمناهم مالك ومراد!

ساعتها الدَكتورة قطمت فى الكلام وقعدت تفكر ، فآنسة ثناء حاولت تكبر الفكرة فى دماغها ، بس مش عشان حبها فى الدَكتورة لا لا لا عشان الدار مش مستحمل أطفال شوارع تاني وكل المعونات تقريبًا وقفت ومبقاش حد يتبرع ، وقالتلها بصى يا "عليا" يا حبيبتى انتِ عارفه إنك مش هتخلفي ودي حقيقة ، وأكيد أكيد صداقتنا دي مكنتش صدفة دا قدر من عند ربنا عشان

الولدين دول ييجوا عندي الدار ويبقوا من نصيبك ، والله أنا حاسّة انهم ولادك!

دا غير كمان انتِ عارفة الثواب اللّي هتاخديه قد إيه ، وممكن زي ما إنتِ أخدتيهم وصرفتى عليهم وعاملتيهم زى ولادك يكون سبب فى دخولك الجنة ، دا سيدك الرسول بيقول "أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة وأشعار باصبعيه السبابة والوسطى".

وفضلت تاكل بعقل الدَكتورة حلاوة ، والزن على الودان يا صاحبي أمر من السحر لحد ما الدَكتورة اقتنعت واتسلطنت بكلام الآنسة ثناء عشان هى متأكدة انها عمرها ماهتجيب حتى صوبع عيل ، والحرمان من الخلفة والعيال بيجنن الست وبيخليها تعمل أي حاجة.

بس المشكلة مكنتش فى الدَكتورة لا المشكلة كانت فى المهندس اللّي كان نفسه فى ولد من صلبة ، حقه الراجل بصراحة محدش يقدر يلومه!

كان عاوز ولد يكون ابنه بجد وجزء منه مش ابن شوارع لقيط الله أعلم بأصله وفصله وممكن يسبب مشاكل ملهاش أول من آخر والله أعلم الأيام ممكن تخبيلنا إيييييه!

بس بعد محاولات كتيرة ورغى الدَكتورة اللّي بيعشقها البشمهندس واللّي ميقدرش يرفضلها طلب وافق بس بشرط!

قالتله إيه الشرط؟

قالها هناخد ولد واحد بس!

فاستغربت جدًا وسألته ليه ودا هيفرق فى إيه؟

قالها إزاى إنتى عديتى ال30 سنة والناس كلها عارفه إنك مستحيل تخلفى ودكاترة مصر كلها عرفانا بالاسم والشكل من كتر ما روحنالهم ، فجأة كدا خلفتى! لا وكمان خلفتى ولدين توأم مرة واحدة! الموضوع مش هيبقى تمام والناس هتشك ، وغير كدا كمان لو حصل نصيب هنسافر أنا وأنتِ أمريكا وهناخده معانا نقعده هناك مش أقل من سنتين ونرجع نقول للناس كلها إنهم لقوا علاج جراحى ليكى والموضوع أشبه بمعجزة وقدرتى تخلفي!

وفعلًا كان عند كلمته ، وعشان راجل واصل عنده علاقات ومصالح كتيرة خلّص كل الورق والإجراءات ، وأثبت كمان إن أنت اتولدت فى أمريكا وأخذت كمان الجنسية ، وعشان الواسطة تعمل من البحر طحينة!

والغريبة بقى يا صاحبي إن مع الأيام البشمهندس حبك بجد زي ابنه ، وعاملوك زى ابنهم بالضبط وخبّوا عليك الحقيقة!

وبغتتًا رفع مراد رأسه للأعلى وأردف يسب ويلعن بكلام غير مفهوم وأكمل بعصبية:

- بس عارف إيه اللّي حارقنى؟ إن الدَكتورة اختارتك أنت ، أيوه ختارتك أنت ومختارتنيش! عارف ليه؟ عشان الحظ والصدفة يا صاحبي ، تخيل كدا حصل العكس واختارتني أنا وبقيت الدَكتور مــراد ، وأنت ولا حاجة أيوا ولا حاجة!

وبعدها بسنة واحدة بس الدار فلّس وبدأوا يوزعونا كأننا كلاب بلدي! اللّي عاوز واد ياخد اللّي عاوز بت ياخد أكننا لبس وببلاش كمان ، وخدتنى عيلة فقر مش لاقيه تاكل وبتشحت كمان قال إيــه عشان تاخد فيا ثواب.

وعشان مش لاقي آكل بدأت أسرق وأنهب وأعمل كل حاجة وسخة المهم أجيب فلوس بأي طريقة وأرضي نفسي.

بقيت أثبّت الناس فى الشارع وميفرقش معايا صغير ولا كبير ولا راجل ولا ست ، المهم أطلع بمصلحة ، ومكتفتش بس بكده لا ، بدأت أسرق عربيات وأقلب شقق وأفك خزن كمان ، تخيل مع إنى أصلًا ابن شارع ولقيط بس بقيت أخطف العيال وأبيعها وكله عشان كام جنية وأبعد عن الفقر ووساخته.

احتياجك لكل جنيه وقرش بيخليك تعمل أي حاجة وبتتنازل عن كل حاجة وبيخليك هتموت على فى ايد غيرك ، وشوية شوية ضميرك بيموت.

سكت مراد قليلًا ثم أكمل بنبرة صوت بكل جدية:

- بس سيبك أنت وقولي دى أول مرة تقتــل؟

وأخيرًا رد مالك بعد صمت مريع استمع فيه لمراد بإنصات وتروي حتى كاد أن يبيض شعره من الصدمات التى تتوالى وراء بعضها وكشفه عن أسرار حياته التى تحولت كلها فى ثوانٍ لكذبة وقال:

- اا..اااقــتــــل؟!

مراد:

- أنت هتعمل فيها عبيط يلا!! قتلت خالك ، دا أنا شوفتك بعينى اللّي هيكلهم الدود دول وانت بتشرح أمه زي الخروف ومصورك ڤيديو كمان!

رد مالك فى جزع وارتياع:

- انت إيه اللّي بتقوله دا؟! خالى اتقتل ومحدش عارف مين قتله حتى الشرطة قفلت المحضر وأيدتها ضد مجهول!!

ضحك مراد باستهزاء قائلًا:

- هتعملهم علينا أنا؟! ياض دا أنا أوديك البحر وأرجعك عطشان ، شكلك لسه متعرفنيش معذووور.

ودس مراد يده بجيبه وأخرج هاتفه المحمول وبدأ يبحث عن شيء ما وقال:

- أهو لقيته اتفرج يااااا دكتور.

فتح مراد إحدى مقاطع الڤيديو ووجه شاشة الهاتف المحمول أمام عيني مالك ليرى بوضوح ما سيحدث.

نعم إنه كالمشهد السينمائى يبدأ المقطع يظهر شخص ما مختبئ خلف إحدى السيارات وكأنه ضبع ينتظر لحظة الحسم لينقض على فريسته .. قابضًا بقوة على مقبض سكينًا ضخم يظهر لمعانه كلما تحرك معصم يديه يمينًا ويسارًا .. لم تمر سوى دقائق حتى ظهرت سيارة قادمة من آخر الشارع وتقترب ثم تقترب حتى توقفت تمامًا.

خرج منها شخص يبدو من حركاته الغير منتظمة انه سكران أو مسطول .. أطفئ محرك السيارة ونسي مصباحها مازال مضاءً .. وبغتتًا انطلق الشخص المختبئ كالفهد المفترس فى سرعة خاطفة لثوانٍ معدودة .. ليقفز بشكل مفاجئ أمام الشخص المخمور .. وبضربة واحدة ذبحه وخرّ منهارًا على الأرض وانهال عليه بالضربات ليصير كالطير المذبوح يلفظ آخر أنفاسه .. وبعدما أنهى فعلته وقف ببطء ينظر حوله حتى يطمئن الا أحد يراه وبينما هو يلتفت ظهر وجهه بمقطع الڤيديو!

وبعدها توجه إلى سيارة فى الشارع الموازي وبدل ملابسه .. وركب السيارة وانطلق سريعًا وبالتأكيد أنت تعرف الباقى...

لولا ظهور وجه مالك بجرحه المميز بالمقطع ما كان ليصدق ما راه بأم عينيه لو حكى له أحدهم ما حدث .. كيف ومتى؟ أداتان للأستفهام كادا أن يمزقا عقله .. كيف لا يتذكر حدوث ذلك؟ ومتى قام به؟

وبتر مراد تفكيره الذى كاد أن يفتك بخلايا رأسه وقال:

- وبعد ما أنت أخدت عربيتك ومشيت لقيتها فرصة كبيرة جاتلى من السما روحت قلبت خالك وهو بيفرفر ، العدة على شوية الفلوس اللّي معاه وخاتم جابلى قرشين حلوين ، وكويس إنى كنت لابس حاجة فى ايدى عشان لامؤاخذة البصمات ، أصلي اتلدعت من الحوار دا ياما!

بس عارف ياض يا مالك إيه أكتر حاجة زعلتني؟! إنى معرفتش أخد العربية! دي بالنسبالى مصلحة العمر ، أحلى فرصة ممكن تكون جاتلى ، بس مكنش ينفع أخدها عشان كان معايا المكنة ، فلو أخدت العربية مش هاخد المكنة ولو أخدت المكنة هسيب العربية ولو أخدت العربية وسبت المكنة هتجاب هتجاب وهلّبس فى الحيط وهقع زي الحمار ومحدش هيسمي عليا ، قولت فى

نفسي ياض لازم تطلع بأى مصلحة ، روحت جاري على العربية وقعدت أدور فيها على أي حاجة ، واللّي قدرت عليه أخد الكاسيت.

قرب مراد وجهه كثيرًا من مالك والذى بدا عليه علامات الجنون وأردف قائلًا:

- بس على فكرا انت لازم تشكرنى ، آه وتبوس ايدى كمان ، عارف ليه؟ لولا الحاجات اللّي أخدتهم ، كانت هتبان انها جريمة قتل ، وبسبب اللّي أنا عملته بانت أكنها حادثة سرقة عادية وطلعت انت منها يا نجم!

ضحك مراد قليلًا ثم أكمل قائلًا:

- وبعدها أخدت المكنة وطرت على البيت وروحت يومها بعد الفجر ، وصحيت قبل الظهر بشوية ، كلمت الواد بيومي كهربا ، الواد دا دماغه سم فى العدد والحاجات الكهربائية وعنده محل فى وسط البلد ورثه عن أبوه ، بيومي ده أخويا وشِقي وصاحبي ومعاه كل أسرارى وأفديه برقبتي كمان!

قولتله معايا عِدة شكلها غالي وكاسيت عاوز اتصرف فيهم.

قالي قابلني عند كوبري قصر النيل.

قابلته ووريته الكاسيت وعجبه أوي وقالي هيجيب فلوس حلوة ، بس لما شاف العدة وشه جاب ألوان وبصلي أوي وفتح العِدة وقفلها تاني ، وبعدها رماها فى النيل! بصتله كدا واتعفرت عليه.

قالي اهدى بس على نفسك الأول ومتتحمقش وهفهمك كل حاجة ، على حد قوله كده العدة دي حديثة أوي ولما تتفتح الشرطة هتعرف مكانه وتجبنا ، وقالي كمان دا عليه رقم سرى مش هنعرف نفتحه وكدا يبقى حته حديدة مالوش لازمه ، وطول ما هو معانا هنتجاب هنتجاب.

سكت مراد قليلًا ثم أردف:

- من شهر كدا عرفت إنك أخويا وعرفت الحقايق دى كلها وعرفت عنوانك من آنسة ثناء.

الفضول قتلنى بقيت متعفرت ومش على بعضي قولت لازم أروح أشوف أنت مين وساكن فين وعايش إزاى واتأكد من كلامها مش جايز الوليه بتخرف؟!

وفعلًا جيت وشوفت كل حاجة بعنيا ، وبراقبك من ساعتها بس إنت محستش بيا عارف ليه؟! عشان دى شغلتى أنا حرامي شقق وقاطع طرق ونشال كمان زى ما قلتلك، بتدارى واستخبى زي العفاريت.

ومش هحور عليك! من يوم ما شوفت العز اللّي أنت عايش فيه بدأت أحقد عليك وألعن أم الأيام اللي عشتها كلها وقولت فى نفسي ليه مكنتش أنا مكانك وانت مكانى؟! ليه العز ده كله يروح ليك أنت مش ليا؟! ليه أنا وأنت مكناش مكان بعض!

وتمتم بغل بصوت منخفض:

- الحظ هو الحظ اللّي دايمًا الواد بيومي يقولي نحسنى ولازق فى جنتي!

وأكمل قائلًا:

- يوم القتل كنت قاعد تحت بيتك ومتداري وبفكر إزاي أطلع منك بمصلحة ، جه فى دماغي حاجة من اتنين! أخد منك فلوس بتراضى ولا أطلع أقلب الشقة؟! ودماغي فضلت تودينى وتجبني ، ويومها كان الجو ينشف العضم فى الجسم ، قولت فى نفسي أمشى ياض النهارده وأتدفى فى بيتكم وفكر فى فُكيرة حلوة تطلع بيها بمصلحة ، ولسه همشى لقيتك نازل من العمارة وأكن لبسك جن! ماشي بطريقة غريبة وعينك فيها شر إبليس ، اتداريت بسرعة لحسن تشوفني ، بصراحة قلقت منك! واتسحبت وراك من غير ما تحس بيا ، ولقيتك اختفيت ورا عربية بطريقة عجيبة كدا فاستغربت أوي ولعب الشك

فى دماغي وقلت فى نفسى الواد دا يا مجنون يا لبسه عفريت! فضلت مراقبك والفضول بياكل فى جتتى عاوز أعرف هتعمل إيه؟! وإيه اللّي منزلك فى نص الليل وبتدارى ليه؟! روحت مطلع العدة من جيبى وبدأت أصورك ڤيديو بالتفصيل وزى ما أنت شوفت كده يا صاحبي.

بصيت للمقطع كده وقولت بـــس الحظ هيلعب! وقولت هستغلك وأخد منك قرشين حلوين والدنيا هتضحكلى وأسيب حياة الفقر ، بس حصل حوار تاني كده خلاني أغير رأيي!

دث يديه بجيبه وأخرج ورقة يبدو أنه قد جهزها قبل مجيئه وأكمل قائلًا:

- وفيه حقايق تانية كتير بس كفاية عليك دول النهارده لحسن تموت مني وأنت وشك أصفر كده!

الورقة دي فيها عنوان القهوة اللّي بقعد عليها كل يوم ، تعالى وهعرفك كل حاجة وافتكر المقطع اللّي معايا ممكن أعمل بيه إيه لو الشيطان وزك تلعب بديلك!

ووضع الورقة فوق المكتب الخشبي.

وبكل تروى وبرود تحرك من مكانه ناحية مالك وانحنى وفك وثاقه وتركه ورحل .. ومالك فى حاله صدمة لم يتحرك من مكانه أو حتى ينظر إليه .. كالذبيحة التى فارقتها روحها.

الأمر بديهي لا يحتاج إطلاقًا لإثبات أن مراد أخو مالك لا بل توأمه حقًا .. فوجه الشبه بينهم 99.9٪ وإن كان فقط الاختلاف بينهما رائحة مراد الذى لم يستحم منذ أسبوعين على أقل تقدير.

كـذبـة! فجأة تحولت حياته إلى كذبة كبيرة .. طوال عمره الكل يكذب عليه وفى يوم وليلة يعرف كل شيء .. كل الحقائق وبالتفصيل على لسان أخوه التوأم مراد.

إن كل الأسرار التى ظل المهندس علي محسن والدكتورة علياء يحاولان إخفائها سطعت الآن كوضوح الشمس وأصبح يعلم بكل كبيرة وصغيرة .. الحقائق التى جاهدا كل يوم وكل دقيقة وكل ساعة لإغلاقها للأبد أصبحت بكل يسر ملكًا له.

إن شعوره تجاههم الآن أصبح غريبًا حتى أنه لا يستطيع معرفة بماذا يشعر حقًا ناحيتهم .. ولا إيجاد مسمى له.

كيف سيعيش وسطهم بعد الآن؟! كيف سيعاملهم ويعاملوه؟! أيخبرهم انه عرف كل شيء؟ أم يعيش حياته كما هى ويكذب عليهم كما كذبوا عليه؟

إنه فى موقف لا يحسد عليه ، موقف لا يحدث كل يوم!

حقيقة تنهار معها كل المشاعر والصلات .. حقيقة تجعلك تشعر أن حياتك بلا قيمة.

التفكير كاد حقًا على قول مراد أن يودى به إلى الجنون .. وتمنى انه لو كان بحلم ويستيقظ منه وينتهى كل هذا العذاب .. ولكنها حقيقة وعليه أن يتقبلها شاء أم أبى.

نام أو بالأحرى أغشى عليه ثانيًا فى مكانه من كثرة التفكير وشدة التعب والألم والضرب المبرح الذى تعرض له على يد أخيه التوأم ولم يدرى بنفسه إلا صباحًا.

*****

بعد ١٤ ساعة.

فتح جفونه بصعوبة وأكن وزنها طنًا .. استيقظ من نومه الثقيل المفعم بالهموم والأسى والغم .. وكل موضع لا بل كل خلية بجسده تألمه من الضرب المبرح لليلة السابقة

وتصدر أنينًا .. وتمنى حقًا أن ينام ولا يستيقظ أو إنه يستيقظ فيجد هذا كله ما هو إلا كابوس.

لم يهتم بمعرفة الوقت ولا حتى إن كان بالصباح أو المساء .. أو حتى نام يوم أو اثنين.

ظل نائمًا على ظهره فوق الأرض .. متطلعًا لسقف الحجرة .. يفكر كثيرًا وكثيرًا.

أيذهب إلى مراد فى العنوان الذى تركه له؟ أم يُحدث والداه بما حدث فينصحاه بطريقة عقلانية؟ أم إنه يلجئ إلى طرق أخرى؟

ما هى أهداف ونوايا مراد؟ ومنذ متى وهو يراقبه؟ وماذا يعلم عنه وعن حياته؟ وما مصير حياته الآن بعدما عرف الحقيقة؟!

وضع يداه على رأسه وأغمض جفونه قليلًا متمنيًا أن يمقته الصداع فيتخلى عنه ويرحل فى سلام.

وشيئًا فشيئًا أستجمع قوته وتحرك من مكانه ليتجه إلى الحمام.

خلع ملابسه وأدخل جسده تحت الدش ليهدأ قليلًا .. لتبدأ مرحلة تصفية الزهن بتفكير صحيح يليق بالموقف.

وبدأ يرتب أفكاره بطريقة عقلانية.

أولًا مراد انبثق من اللاشيء وأخبره أن والداه ليسوا بوالداه وهو مجرد شخص لقيط تبنياه ولا يعرف أصله ولا عائلته الحقيقة بالكامل .. وإثبات أن المهندس على محسن والدكتورة علياء ليسوا بوالداه أمر سهل ، فبتحليل "DNA" سيعرف كل شيء .. ولكن عليه أن ينتظر حتى يعودا من السفر.

ثانيًا أن مراد أخوه وتوأمه وهو صادق فى ذلك هذه حقيقة مسلم بها ولا تحتاج لدليل.

ثالثًا والأهم الڤيديو! ڤيديو القتل وكيف حدث؟ وحقًا هذا مالك؟ ولو كان هو لما فعل ذلك؟ وكيف؟ ولما لا يتذكر أى شيء على الإطلاق! يجب أن يبحث فى ذلك الأمر .. قد يكون السير أثناء النوم ولكن يجب أن يتأكد من ذلك فالتخمينات لا تكفي .. فبدأ بالمشاهدة والملاحظة.

اشترى ٦ كاميرات تصوير ڤيديو عالية الجودة.

وضع الكاميرا الأولى والأهم فى غرفته.

الكاميرا الثانية فى الممرات بين الحجرات.

الكاميرا الثالثة حجرة والداه.

الكاميرا الرابعة فى المطبخ.

الكاميرا الخامسة فى الحمام.

الكاميرا السادسة فى الصالة.

وبدأ التسجيل.

*****

مراد هو طرف الخيط وبداية الحقيقة ولن يعرف أى معلومة أو حقيقة إلا من خلاله .. ولكنه شخصية بشعة .. حقيرة .. دنيئة .. واستغلالية وفيها كل الصفات الخبيثة والسيئة .. حياة الفقر والجوع والحرمان انتقصت من آدميته الكثير جعلته أشبه بحيوان مفترس يستحيل ترويضه .. فأصبح شخص انتهازي جشع لا يفكر سوى بنفسه والآخرين فليذهبوا إلى الجحيم.

مراد يملك ڤيديو قتل مالك لخاله عماد -الذى لا يجد له أي تفسير حتى الآن- وخشي مالك أن يقوم مراد بشيء ما متهور وغبي بسبب إمتلاكه للڤيديو، يؤدي به إلى الهاوية.

وأيضًا باقى الحقائق التى مازال مراد محتفظ بها.

ولذلك قرر مالك فى النهاية الذهاب إلى مراد وهو مضطر مغصوبًا غير راضيًا.

أمسك مليًا الورقة التى تركها له المكتوبة بخط ركيك مدون بها عنوان.

وقد قرر التحرك الآن لمقابلته .. وبدأ يستعد نفسيًا لما يمكن أن يسمعه منه.

ارتدى ملابسه ونزل من بيته وتحرك بالسيارة .. لا يفصله عن العنوان سوى ساعة ونصف وبالزحام ساعتين.

أحد الأحياء الشعبية الفقيرة جدًا .. مكان فقير ومتواضع للغاية .. يفتقد لجميع أنواع المرافق والخدمات .. يبدو أن الحكومة أهملته من سنين طويلة.

رائحة منفرة مقززة بكل مكان .. الطريق غير ممهد بالمرة .. قمامة بكل مكان وبكل شارع .. المكان أشبه بمقلب زبالة .. وكأنك دخلت إلى عالم آخر.

البيوت متهالكة .. متلاصقة ببعضها البعض لا لشدة الترابط بينها بل معلنه سقوطها فى أى وقت.

حارات ودروب عتيقة ضيقة .. لا يوجد نظام .. الباعة الجائلين فى كل مكان يبيعون أى شىء يخطر على البال.

دكاكين ومحلات متدنية .. يبيعون سلع ومنتجات أساسية تكاد تصلح للأستعمال الآدمى.

الأطفال فى الشوارع يمرحون بشتى أنواع اللعب بعضهم بملابس داخلية .. وبعضهم بملابس سترت عورتهم .. والبعض الأخير كان سترهم معنويًا فقط.

مكان أشبه بزريبة كبيرة .. لا تعلم كيف يطيق الناس على صبر المعيشة فيها.

والأسوء من ذلك كله أنفجار بلاعات الصرف الصحى التى حولت المكان لمسبح ارتفاعه ١٠ سم على الأقل.

ظل مالك يسأل المارة عن العنوان المدون بالورقة .. حتى وصل إلى القهوة المشار إليها .. وقبل أن يقترب منها لمحه مراد من على مسافة قصيرة ففز قافزًا من مكانه وخطى مسرعًا وركب مع مالك سيارته.

تحدث مراد بلهجة أمره:

- اطلع بينا على المكان اللّي هقولك عليه!

ألقى مالك بعينيه نظرة شديدة السخط متفحصًا مراد من أعلى لأسفل ولم ينطق بحرف وتحرك كما أشار.

انطلق مبتعدًا عن المكان بمسافة .. عدة حواري ودروب متداخلة فيما بينها عندما تراها لأول مره تعتقد انها كلها واحدة لشدة التقارب بينها .. وبعد مرور دقائق أشار مراد بيديه لمالك بالتوقف.

ركن مالك السيارة تحت أحد البيوت الشعبية المكونه من طابق أرضي وطابق أول .. البيت أقرب إلى العشة منه إلى البيت .. أصغر بيت بالحارات.

أغلق سيارته بإحكام وأتبع مراد فى خطواته.

أخرج مراد من جيبه مفتاح .. وفتح باب البيت الحديدي ودخل المكان وخلفه مالك وأغلقه ورائه.

صعد الاثنان للطابق الأول .. أذهل المكان مالك وجعله فى دهشة من أمره! كيف للآدميين أن يسكنوا ويستتروا بيت خرب وعفن وضيق كهذا؟!

البيت متهالك جدًا .. أستهلك على مر السنين ويحتاج للصيانة والنظافة فى شتى الجوانب والأركان .. الدهان الخارجي للمنزل سقط بالكامل .. عمر المنزل لا يقل عن ٦٠ عامًا على الأقل ولكن لا يهم.

عرج مراد على إحدى الحجرات فى الطابق الأول وأتبعه مالك.

الحجرة صغيرة كحجر فئران بلاط الأرضية بألوان قبيحة .. بلاطة بيضاء وأخرى زرقاء .. بها تلفاز يعود صناعته لأواخر الثمانينات موضوع على منضدة من الخشب فى زاوية الحجرة بجوار الشرفة وإحدى أرجل المنضدة مكسور ومتكئ على حجر صغير .. وفى منتصف الحجرة أريكة متهالكة هبطت قليلًا للأسفل وبجانب كل زاوية منها كرسى من نفس القماش التى صنعت منه الأريكة.

جلس مراد مسترخيًا على الأريكة بالكامل وكأنه يستعد للنوم .. وجلس مالك على الكرسى .. وأخذ مراد ينظر لمالك نظرات مستفزه تجاهلها وكأنه لم يرها!

وأخذ مالك رباط الحديث قائلًا:

- قولتلى أجيلك لحد عندك وهتعرفني حقايق أهم كتير من اللّي أنت قولتهم قبل كدا وأديني عند كلامي وجتلك لحد عندك!

مراد:

- حيلك حيلك بس يا صاحبي دا أنا قلتلك شوية حقايق بمليون جنيه دا انت لو عشت عمرك كله مكنتش هتعرفها! .. واعتدل فى جلسته وأكمل قائلًا: بس من النهارده مفيش معلومة ببـلاش!

رد مالك فى عصبية وصوت جهور:

- قصدك إيه؟ أنت بتبتزني يلا!!

رد مراد بضحكة خبيثة فى برود وسخافة:

- عيب متقولش كدا دا إحنا إخوات برضك! يعنى تقدر تقول مصلحة مشتركة ، إيه مش عاوز تنفع أخوك؟!

مالك مبهوت:

- مصلحة مشتركة؟! مصلحة إيه اللّي ممكن تكون مع واحد زيك .. وأشار بأصبعه فى وجه مراد.

بسط مراد يديه على صدره وقال:

- مقبولة منك ياخويا ، أيوا مصلحة مشتركة! أنت جاي وعاوز حاجتين ، المقطع اللّي هيوديك فى ٦٠ داهية إن شاء الله والحاجة التانية الحقايق!

مالك:

- ما أنت مفتح أهوه! ودا فعلًا اللّي أنا عاوزه الڤيديو والحقايق! وأنت قلت مفيش حاجة ببلاش يعنى عاوز فلوس مقابل الحاجتين دول ، عاوز كام من الآخــر؟

قهقه مراد من طريقة مالك فى الكلام والذى تكلم بنفس أسلوبه وقال:

- لا لا لا لا مش عاوز فلــوس!

مالك:

- مش عاوز فلوس؟!! أمال إزاى مفيش حاجة بعد كدا ببلاش! وجايبنى ليه هنا أصلًا وبتبتزنى؟! منين مفيش حاجة ببلاش ومنين مش عاوز فلوس؟!

مراد:

- أنا قولت عاوزك فى مصلحة!

مالك:

- مااااشي مصلحة إيه؟

مراد:

- حاجة عملتها مش جديدة عليك وهتعملها تاااني!

قال مالك فى قمة العصبية وبصوت جهور:

- انت شكلك اتجننت!!

مراد:

- لا يا صاحبي أنت لسه مشوفتش الجنان اللّي على حق! الموضوع فى ايدك أنت وبس! القتل قصاد الحقايق والحقايق التانية!!

مراد يساوم مالك على القتل للمرة الثانية لأنه معتقد انه قتل قبل ذلك .. يلوى ذراعه بالمقطع والحقائق الأخرى ليجبره على طاعته وتنفيذ ما يريد.

مالك بحكم دراسته المفروض انه طبيب رحمه ومنقذ للأرواح وليس بقاتل يسفك الدماء .. جريمة قتل مع سبق الإصرار والترصد تعنى الاعدام شنقًا وهو لا يملك أى دليل على برائته.

وحقًا صدق مراد فى أن المقطع طريق لحبل المشنقة ويمكنه تسليمه فى أى وقت على هواه واسقاط مالك بالهاوية .. إنه فى موقف صعب لا يحسد عليه.

وفى النهاية قرر مطاوعه ومجاراه مراد فى كلامه حتى يعرف ما بداخله ومايصبو إليه.

قال مالك بعد تفكير متمعن:

- وليكن وافقتك! هاخد منك الڤيديو وكمان الحقايق! حقايق إيه بقى مش يمكن مفيش حقايق تانية؟!!

مراد:

- لا فيه! عنوان الآنسة ثناء مديرة دار النور ودى اللّي هتقولك كل حاجة وكمان هتقولك مين أبوك وأمك الحقيقيين ومفاجأت تانية .. قال جملته بخبث وضحكة صفراء.

لو كان كلام مراد صحيحًا فإن آنسة ثناء على حد قوله هى بمثابة الصندوق الأسود الذى سيعرف منها كل شىء أصله وعائلته وبيته .. كل شىء سيعرف كل شىء .. الأمر يستحق المخاطرة حقـًا!

مالك:

- ماشى اعتبرني معاك! هتقتل مين وهتقتله ليه وهتستفاد إيه؟

مراد:

- آه هو أنا مقلتلكش؟ مقابل قتل الراجل دا هاخد اتنين مليون جنية! مليون ليا ومليون لاتنين تانيين هيساعدونا ، وأنت هتاخد المقطع وعنوان آنسة ثناء.

ماذا؟ اثنان مليون جنيه دفعة واحدة؟ إنه فى مقابل جنيهًا واحدًا سيبيع أهله وأقرب الأقربون إليه فما بالك بذلك المبلغ الخرافى ماذا سيفعل للحصول عليه؟! ولو فكر مالك بالرفض أو الوقوف أمام رغبته سيزبحنه مثل البعير ولن يسمى عليه .. إنه كلب نقود لا أكثر كما وصفه مالك.

سكت مالك مليًا وقال:

- سيبنى كام يوم أفكر وهرد عليك!

مراد:

- بس متعوقش أوي ، إحنا مستعجلين لحسن الفلوس تبرد!

ألقى مالك مراد سهام من نظرات الأستحقار والأستهجان وهم بالذهاب.

نزل من البيت العتيق المهترئ الذى تشعر وأنت بداخله أنه سيسقط عليك فى أى لحظة .. وتوجه إلى سيارته وأدار المحرك عائدًا إلى البيت.

المكان أشبه بمتاهة كبيرة .. مما اضطره بسؤال المارة فى كل شارع على كيفية الخروج من هذا المكان.

وأخيرًا انبثق بصعوبة بالغة من ذلك المكان القذر الدنس .. الأشبه بحظيرة للبهائم لا تصلح لمدينة سكنية لآدميين.

واتخذ أول طلعة دائري للوصول إلى البيت.

ظل يفكر بجدية فى شخصية مراد وكلامه والتمعن فيما يخطط له!

وبعد ساعتين ونصف من الزحمة المتكدسة وصل الشارع الذى يقطنه.

ركن سيارته بجوار سور العمارة حديثة البناء وأغلقها جيدًا.

صعد الدرج ودخل المنزل وأغلق الباب خلفه بأربعة أقفال .. خلع ملابسه واستلقى على السرير.

وهنا كل خطوة من الآن ليست سهلة .. وكل شىء سيضره وفى غير مصلحته إذا لم يحسن التفكير!

موقف بشع وحمل كالجبال .. إنه حقًا فى موقف لا يحسد عليه.

يحتاج الآن لإعادة ترتيب أفكاره من جديد.

أولًا والأهم ڤيديو القتل البشع لخاله ب٣٤ طعنة هى بلا شك جريمة لا يغفر لها القانون.

ولا يوجد أحد على وجه الأرض حتى مهما بلغت براعته أن يخرجه منها! ويكفى أنها ستتحول بلا شك لقضية إعلامية كبيرة .. والأنظار كلها ستتجه إليه وسيأخذ عقابه الرادع فى أيامٍ معدودات .. وسيكون مانشت رائع لصحيفة صفراء "طبيب بشري يترصد لخاله ويقتله شر قتله ب٣٤ طعنة! هل تحول الأطباء من ملائكة رحمة إلى شياطين وقتله؟! هل سيغفر لها القانون؟! أم ستنزل العدالة بيدٍ من حديد وتنفذ عقابها الرادع؟!" .. وبذلك تنتهى حياة مالك للأبد .. حياة الدكتور مالك.

ثانيًا دليل الإدانة هو مقطع ڤيديو واضح وصريح الذى ظهر فيه وجهه جليًا.

الڤيديو فى حيازة شخص نكرة لا قيمة له يهدد به حياته .. شخص جشع لا يهمه سوى المال حتى لو أدان أخوه التوأم.

ثالثًا الحقائق التى أخبره بها مراد والحقائق الهامة الأخرى التى وعده بإطلاعه عليها كلها شريطة التعاون معه .. التعاون معه فى قتل شخص لا يعلمه .. لا يعلم حتى اسمه أو شيء عنه.

كل شيء ضده .. كل شيء خرج من يده وما بيده حيلة! وأيضًا الوقت هو سلاح فتاك ضده ولا يملك منه شيء.

ظل يفكر ويفكر حتى استقر به الأمر بالخضوع لإتفاق الخثالة مراد.

ودعني ألقي الضوء على مراد وأخبرك بعضًا من ماضيه.

لم يصاب مراد بفقر المال فقط! بل أصيب أيضًا بداء فقر المشاعر.

مراد ما هو إلا شخص مادي حقير إلى أبعد الحدود .. لن أطلق عليه إنسان أبدًا! فقد تجرد من كل الصفات والمشاعر الإنسانية .. أصبح غير آدمي .. إنه مجرد فقط شخص ذو هدف .. وهدفه المال وما له من هدفًا دونه .. المال فقط ولا غير المال .. وهدفه ذلك أعماه وأخذه إلى الإنحدار والسقوط الشنيع حتى وصل إلى قاع الفساد والسوء أو يزيد.

خرجت الرحمة والشفقة من قلبه منذ صغره ليحل محلها الخبث والكذب والخداع والنفاق وغيرهم .. حتى أوتي منها جبلًا.

أخلاقه وصفاته لا تتكون إلا من خليط أحقر ما يكون فى البشر متفرقين لا متجمعين .. ولكنها تجمعت به حتى اسود قلبه ولم يدق قلبه بنبض الإصلاح قط.

تلون لسانه بشتى الكلمات المعذوبة ليشكل بها جملًا تنجيه من المحن والمهالك .. جملًا تساعده بقوة على اللعب بعقول البشر حتى ترتاح له وتثق به ليصل إلى مبتغاه.

يظهر لك بمظهر الصديق الوفي الذي يخاف عليك من نسمات الهواء الطائرة .. ولكنه لك أشد الكاذبين ويكن لك ألد العداء.

إنه ذلك الفتى الذى تربي وترعرع فى الشوارع والحوارى وأزقتها .. لم ينعم بطفولة كباقى الأطفال .. لم تكن طفولته لهو ولعب ومرح .. بل كانت أقسى تعاسة من رجل تعدى السبعين عامًا من عمره فقد معه كل شىء ولم يرث من الدنيا غير التعب والمشقة والبؤس الذين نقشوا على وجهه و جسده ببراعة.

تربي منذ صغره على إكتساب المال بشتى الطرق المختلفة .. منها الصالح ومنها السيء .. عمل كصبي ميكانيكى لفترة من الزمن رأى فيها المكسب الزهيد فتركها .. تركها بعد أن طعن الميكانيكي بمفتاح ١٤ انجليزى بظهره وفر هاربًا.

وعندما فشل بكل شيء ورفضه المجتمع والناس ولم يجد لنفسه مكان فى هذا المجتمع البائس .. أقسم على الخروج من هو فيه بأي شكل وأى وسيلة .. أقسم على ألا يفني عمره فى الفقر والبؤس حتى يأتيه ملك الموت يخطف روحه .. أقسم على الوصول إلى ما يريد بأي شكل كان حتى ولو على الدم!

أعلمت الآن لما هو مجرد شخص لا إنسان؟!

*****

اليوم التالي.. الساعة ٤:٣٩ مساءً.

ضغط مالك الجرس وفتح له مراد.

مراد:

- الحارة نورت يا دكتور ، اتفضل اتفضل أنت مش غريب دا إحنا أهل حتى!

دخل البيت على مضض وأغلق مراد وراءه الباب الحديدي وترباسين.

صعد مالك وراء مراد فى خطوات ثقيلة حتى وصلا الطابق الأول ودخلا الحجرة التى أتاها أول مرة.

يفاجئ بشخصان غريبان يجلسان على الأريكة.

مراد موجهًا كلامه لمالك ويشير بيديه لأحد الجالسين:

- أعرفك ببيومي عشره عمرى وأخويا وصاحبي وأفديه برقبتي ، كلمتك عنه قبل كده ، ودي جميلة أخت بيومي ، جميلة خرسا مبتتكلمش.

جميلة حقًا اسم على مسمى جميلة وهى جميلة .. حسناء ذات عينان بنيتان واسعتان تسر الناظرين .. صاحبة أنف صغير .. بشرتها قمحية .. ممشوقة القوام لا هى بالنحيفة ولا بالسمينة المنفرة .. وأهم ما يميزها شعرها البنى الغامق الطويل جدًا الذى تدلى لآخر ظهرها .. ترتدي عباءة سوداء ضيقة من محيط الخصر مميزة بسيدات الأحياء الشعبية .. وعلى رغم سواد وطول العباءة إلا انها أظهرت كل مفاتنها وأنوثتها الطاغية .. والتى لم تنزل عينيها من على مالك طوال جلستهم.

وأكمل مراد حديثه موجهًا كلامه لبيومي وجميلة وأشار بيديه اليمنى إلى مالك:

- ودا أخويا الدَكتور مالك اللّي كلمتكم عنه.

اتكئ مراد على الأريكة بجوار بيومي وجميلة وجلس مالك على كرسى مقابلهم .. وبدأ يوزع نظراته الغاضبة عليهم بالتساوي.

وبالمقابل تبادل بيومي وجميلة النظرات على مالك ولكنها لم تكن نظرات غضب بل كانت نظرات حقد ونفسنة شديدة كادت أن تنفجر أعينهم وتبيح بها علنًا .. فقد أخبرهم مراد بكل شيء عن مالك .. كليته وحياته وبيته وعائلته وسيارته والمستوى الإجتماعي والرفاهية التى عاشها طوال حياته .. وبالعكس الشنيع كيف عبر مراد عن حقده وكرهه لمالك ولحياته المرفهه والمستوى الإجتماعي الراقى الذى ينعم به ولولا

الحظ كان يمكن أن يكون هو مكانه ومالك مكانه هو ، وكيف ظل مراد يندب حظه النحس الذى لازمه طوال حياته .. وها قد رأوا بأم أعينهم ما كان يتحدث عنه مراد.

مزق الصمت الرهيب بيومي ضاحكًا بل انفجر ضاحكًا ولم يكن قادرًا على إخراس نفسه وقال:

- يخربيييت أهلك ياض يا مراد ، ده شبهك بالمللى ده شبهك أكتر من نفسك يلا والله ، عمرى ما عرفت أتخيل شكل منظر أهلك وأنت نضيف وابن ناس ولابس لبس غالي من كتر شكل وشك العكر اللّي شبه الخراره! وحظ أمك النحس!

  بس تصدق يلا لايقه عليك! آه تنفع والله .. ثم وجه وجهه لمراد راميًا بكلمتين خبث على مالك: أصل ياض مش كل من لبس حلو ونضف بقى بيه! فى ناس لامؤاخذة ملهاش أصل بس الحظ بقى!

أحس مالك أن بيومي يقصده بطريقة غير مباشرة فهمّ بالرد عليه لولا أن قاطعه مراد بصوت أجش:

- جرا إيه يا روح أمك إحنا جايين نقعد النهارده عشان نعاير بعض؟! إحنا جايين فى مصلحة نقضيها ونخلع ، اهدى على نفسك كدا وخلّى ليلتك تعدي ، أنا عارف انك رافع حبيتين ومعليين معاك ففوق كدا عشان مزبوطكش!

لطم بيومي وجهه مرتين بكفه ورد قائلًا:

- لامو..لامؤاخذة يا صاحبي أنا فوقت أهــو!

وأكمل مراد حديثه:

- نخش فى المهم وفتحوا مخكم معايا! الراجل اسمه سيد الخشن راجل غنى أوي وفلوسه زى الرز ، شغال فى تجارة الموبيليا والخشب وعنده معرض عربيات ، وعنده ولد واحد اسمه مؤمن ، وابنه هو اللّي اتفق معايا على قتله عشان يورث كل حاجة.

مالك فى تعجب:

- طب وعاوز يقتله ليه؟! ماهو كدا كدا ابنه الوحيد يعنى هيورثه وهيورث كل حاجة ، المسألة مسألة وقت بس!

مراد:

- دماغك مفتحة يا دكتور العلام حلو برضك! بس اللّي أنت متعرفهوش إن سيد الخشن علاقته بابنه كانت مش ولابُد ، ودلوقتى العلاقات باظت خالص وأبوه حلف إنه هيتبرع بكل أملاكه للجمعيات الخيرية ، للدولة ، إن شالله يحرقهم المهم ابنه ميطولش منها مليم أحمر وأول ما نقتله هيدينا الحلاوة ، وإحنا مش قدامنا غير أسبوعين قبل ما سيد الخشن يبدأ بإجراءات تخليص الورق.

مالك باستعجاب:

- طب ما ممكن انتوا التلاتة تخلصوا الحوار دا انا إيه لازمتى؟؟!

مراد:

- ما دا اللّي كان هيحصل بالضبط كنت أنا والواد بيومي هنخلص كل حاجة ، هنغزه ندبحه نضربه بخرطوش أي حاجة ، الحوار مش هياخد مننا غلوه ، بس مكنش ينفع نعمل كــده!

مالك:

- ليه مكنش ينفع؟ مش المهم تقتله وخلاص؟

اعتدل مراد فى جلسته ومسح فمه بباطن يديه وأردف قائلًا:

- لا يا مفتح! مؤمن ابن سيد الخشن اشترط عليا إنها متبنش جريمة قتل ولا حتى بدافع السرقة أو الصدفة! تبان أكنها موتة ربنا وميبقاش فيه س و ج والموضوع يخلص فى ساعتها وكل حاجة تبقى فى السر ويورث من غير لا حس ولا خبر ، ماهو عشان كدا وعدني بمبلغ خيالى اتنين مليون جنية ماهو مش عبيط برضك!

ويوم ما صورتك المقطع كان فى دماغى أساومك عليه بس تاني يوم ابن سيد الخشن قالي على الحوار اللّي قلتلك عليه ، فالشيطان لعب فى دماغي ، انت دَكتور وهتلاقي طريقة نقتله بيها ومتبنش إنها جريمة قتل ، والمبلغ اللّي هيدهولى مؤمن أكبر بكتير من اللّي كنت هاخدوا منك!

يا له من وغد حقير .. حقًا إن مراد ما هو إلا شيطان على هيئة بشر .. فقد آداميته وعقله ويلهث وراء المال .. خطة وضعها بإحكام حتى يصل إلى هدفه ومسعاه .. ولا أكذبكم القول فالحظ إلى جانبه.

مالك بالنسبه له جزيرة كنز ولن يصل إلى مبتغاه بدون مساعدته له .. ومازال يدبح رقبه مالك بذلك الڤيديو اللعين .. ولذلك مازال مالك مضطر على مجاراته.

قطع مراد تفكير مالك قائلًا:

- إيه قـولك؟

رد مالك بعد تفكير طويل:

- ممم أنا معـاك!

ضرب مراد ظهر يده اليمنى بباطن يديه اليسرى وقال:

- كدا الكلام يحلو! دورك دلوقتي انك تجيب سم ، تعمل تركيبة ، خلطة ، أي حاجة ، أنت دَكتور بقى وفاهم! المهم تموته بحيث تبان موتة ربنا ومفهاش أى فتفوتة شك ، ولما توصل للسم أو التركيبة دي بأسرع وقت تعرفني وهقولك تعمل إيه بعدها ، وافتكر الوقت بيتحسب علينا!

هز مالك رأسه دلالة على فهم ما يريد وقال:

- ماشي استنى منى تليفون!

مراد:

- مستنينـك يا دَكتور!

ترك مالك الحجرة وهو يعلم جيدًا باب الخروج.

وخرج من البيت الخربان وفتح باب سيارته وجلس بها.

بسط يديه على صدره والفزع يملء وجدانه وكيانه والذى بمعجزة أخفاه ودفنه داخله حتى لا يظهر على وجهه ويدرك أحدهم بحدوث شيء مريب!

نعم إنها حركة فى منتهى الذكاء منه .. أتتذكر عندما اشترى مالك ٦ كاميرات تصوير ڤيديو عالية الجودة؟ وقتها خطرت على باله فكرة خطيرة .. شراء جهاز تنصت وتسجيل ووضعه داخل بيت مراد لمعرفة كل ما يحدث ويدور داخل البيت .. وطريقة معيشتهم وتفكيرهم وماذا يريدون .. كل شيء كل شيء.

شراء جهاز تنصت وتسجيل ليس بالأمر الصعب المستحيل فهذه الأجهزة منشرة بكثرة فى عدة دول وبعض التجار عديمي الضمير يقومون باستيرادها وتهريبها داخل البلاد .. وببعض الرشاوي والمال تستطيع الحصول عليها وليس حتى من أماكن مشبوهة بل أن محلات الكاميرات العادية تبيعه ولكن فى الخفاء.

ولكن كيف لصق مالك جهاز التنصت والتسجيل؟ اشترى الجهاز وقد كان أصغرهم حجمًا وأغلاهم ثمنًا .. وزنه لا يتعدى ال٢٠٠ جرام وبحجم عقلة الأصبع لا أكثر .. أشبه برقاقة ضئيلة الحجم .. وضع الجهاز فى جيبه مع هاتفه المحمول .. وبينما مراد يتحدث فى جدية والجميع منصتون فى تركيز مثل أن هاتفه المحمول سقط على الأرض

وهو جالس وانحنى قليلًا لالتقاطه .. وبيديه الأخرى لصق الجهاز أسفل الكرسى الجالس عليه بخفه حركة .. وتم الأمر على ذلك.

الجهاز متصل بالLaptop الخاص به .. الآن سيشاركهم كل شىء فيما يحدث فى البيت ليلًا ونهارًا.

وصل منزله وركض إلى غرفته .. فتح الLaptop الخاص به وبدأ يسمع أولى التسجيلات بعد أن تركهم مباشرة.

شغّل التسجيل وبدأ يستمع .. يبدو أنه صوت مراد يقول:

- كدا كله تمـــام زى ما خطت وزى ما أنا عاوز بالشعرة!

قاطعه صوت بيومي قائلًا:

- فعلًا هتتخلص من الواد ده؟ وهو فعلًا أخوك؟

سمع مالك كلام بيومي فتسللت القشعريرة فى جسده .. ليرتجف جسده بطريقة لا إرادية فى جزء من الثانية.

رد مراد:

- ودي فيها هزار يلاااا وإحنا من امتى بنهرج؟! أيوا هنقتله وهو فعلًا أخويا ، بس أخويا اسمًا بس لكن عشره لااا ، أنا لسه عارف الحوار ده من شهر وميفرقش معايا دلوقتي زي ما كان ميفرقش معايا زمان قبل ما أعرفه ، هو بالنسبالى نقلة العمر ، الفرصة اللّي بحلم بيها ومش هضيعها ، تخيل كدا ياض يا بيومي بقى معانا الفلووووس وسيبنا بقى حياة الفقر والذل والوساخة دي ، ياض إحنا فى زمن الفلوس ، معاك قرش تسوى قرش ، ممعكش هيتداس عليك لحد ما تموت زي الصرصار ومحدش هيفكر يدفنك ما أنت ملكش لازمه أصلًا! الفلوس دي اللّي هتعملنا قيمة وسمعة وصيت وكل حاجة ، الناس هتعملنا مليون حساب ، أنا مش هفضل أحلم كده وماطولش حاجة! لا نفوق بقى ، زمن الأحلام إنتهى وأنا دلوقتي فى الواقع ومش هسيب اللّي عاوزه ونفسى فيه ، هدوس على أااي حد حتى لو أخويا!

أنا تعبت كتير أوي ياض يا بيومي أوي ونفسي أرتحلي يومين ، مش عاوز الموت ييجي عليا وأنا فقير ، أنا مش عاوز أموت فقير يا بيومي ، أنا نفسي أعيش وأتنغنغ زي الناس اشمعنا هما وأنا لأ؟

كل دا عشان اتولدت فقير؟

طب ذنبي إيه؟

إيه الذنب اللّي عملته قبل ما أتولد عشان أتعب وأتهان وأتذل كده؟

لا لا لا لا مش هكمل في الحياة الوسخة دي ، أنا هحارب لحد ما أوصل للّي عاوزه وأخويا والناس تولع كلها ، كفاية عليه العيشة دى أوي ، كفاية عليه حياته دي!

بيومي:

- وهتقتله بعد ما يعمل حوار السم والتركيبة دي؟ ولا بعد ما يقتل سيد الخشن بالتركيبة؟

مراد:

- لا بعد ما يقتل سيد الخشن بالتركيبة والسم ونتأكد ان كل حاجة ماشية زي ما أنا عاوز ومفيهاش غلطة!

بيومي:

- وهتقتله إزاي؟

مراد:

- لسه هفكرلها فى فُكرة حلوة كده ، بس الأول هقوم أنا أريح جتتى شوية عشان بقالى يومين منمتش.

وانتهى حوار مراد وبيومي على ذلك.

ارتسمت على وجه مالك الدهشة والخوف والحيرة ومشاعر كثيرة .. بشاعة الكلام والأسلوب تصيبك بالرعب والخوف .. تسمع بأم أذنيك أخوك التوأم يكرهك أشد الكره ويتمنى موتك وفنائك لا بل هو الذى سيقضي على حياتك بيده ويخططلها أيضًا بأبشع التخطيط! يحقد عليك وعلى حياتك ومعيشتك ويتمنى زوالها منك وذهابها إليه بأكملها ولا تحصل أنت منها على شيء.

يرى أنك لا تستحق هذه الحياة الكريمة ويكفيك ما عشته منها .. يا لبشاعة الكلام والموقف .. أي بشر هذا؟ أي بني آدم يتمنى الهلاك والموت لأخيه التوأم اليوم قبل غدًا؟! إنه شيطان بشع على هيئة بشر لا يوجد وصف غير هذا الوصف يمكن أن تصوره به .. لقد وصل به الجشع والطمع والحقد مالم يصل إليه بشر .. القتل! إنه أسهل ما يمكن أن يفعله حتى لو وصل القتل لأقرب إنسان إليه .. إنه إنسان لا يستحق الرحمة ولا الشفقة!

ودعنى أحدثك قليلًا عن النسخة الشيطانية الأخرى من مراد .. صديقه بيومي.

بيومي صديق مراد الذى يعتبره أكثر من أخوه أو كما يقولون بلغتهم "أخويا اللّي مجبتهوش أمى" .. دبلوم صنايع .. يمتلك شعر أخشن من سلك الكهرباء .. قام بفرده

بجميع أنواع الزيوت والكريمات المصنعة تحت بئر السلم .. لدرجة أنه جرب فرد شعره بمكواة الملابس فبدأ شعره بالسقوط الذريع .. فاختار مياه الأكسچين علاجًا لشعره حتى أحمر وأصفر.

طويل للغاية تعدى طوله ال١٩٠ سم .. يمتاز بأنف طويل .. وعينين ضيقتين .. يكاد قفصه الصدري يسقط من جسده من شدة نحافته .. وعلى رغم نحافة جسده يمتلك عصب متين يستحق الإحترام .. يجيد عراك الشوارع والبلطجة .. جسده مزدحم بالخدوش والجروح والكدمات من كثرة الخناقات والمعارك التى دخل بها .. حتى أنه أصبح أكثر خبرة من طبيب جراح بمعرفة الإصابات الجسدية المميتة.

اشترى توكتوك عمل عليه فترة من الزمن .. ولما توفى والده ورث عنه محل هواتف محمولة متواضع للغاية .. وبحكم عمله بمجال الهواتف المحموله بدأ يفهم ماهيتها وعملها وبعض صيانة الأجهزة الذكية.

أدمن البرشام لحد وصل معه هلوسة عقله المستمرة .. فأصبح البرشام كالحلوى فى فمه يمضغها طوال الوقت .. فأهمل محل الهواتف واستدان المال من تراب الأرض .. حتى كرهه الجميع وبدأوا اجتنابه وتجنب أذاه وشره.

*****

مراد اختار مالك بعناية لتنفيذ قتل سيد الخشن دونًا عن غيره بسبب شيئًا واحدًا فقط! دراستـه! نعم فأنت تعرف الآن أن مالك طبيب وهو أكثر شخص دراية بالجسد البشرى والتشريح والسموم وتأثيرها على الجسد أو كما يقول المثل الشعبي "أعطي العيش لخبازه ولو أكل نصفه".

وعندما أخبر مراد مالك بالقتل وموافقه الأخير عليه مضطرًا لا راغبًا دارت فى رأسه جميع أنواع السموم وتركيباتها ومصادرها واستخدماتها وتأثيرها على الجسد.

عالم السموم هو بحر واسع كبير لا نهاية له لو أردنا التحدث عنه ما كفانا ألف كتاب ومجلد .. ولكن دعنى أشرح لك ما هو ببساطة شديدة حتى تعرف كل شىء عن السموم وأنواعها وإستخدماتها وتركيباتها وتأثيرها على الجسد.

- علم السموم Toxicology

يعرف بأنه العلم الذى يبحث فى ماهية المواد السامة كيميائية كانت أم فيزيائية وفى تأثيرها الضار على الكائن الحي كما يبحث فى أصل السم وتحليله وطرحه فى الكائن الحي وفى طرق العلاج والتقليل من السمية.

- السُمّ Poison

يعرف السم بأنه أي مادة إذا دخلت الجسم بكمية كافية أحدثت فيه إضطرابًا مؤقتًا أو دائمًا أو أدت إلى الوفاة ويتميز التسمم بأن أعراضه تتدرج فى أكثر الأحيان وتتناسب شدتها مع نوع ومقدار السم الداخل للجسد.

- عملية التسمم.

هى إصابة الشخص بالأعراض المرضية التى تسببها السموم وهذه الأعراض إما أن تظهر فجأة ويسمى التسمم فى هذه الحالة تسمم حارًا وإما أن تظهر تدريجيًا وبغير شدة وذلك عقب إستخدام كميات صغيرة من السم لمدة طويلة فى فترات متباعدة ويسمى التسمم فى هذا النوع الأخير تسمم مزمن ويتم تراكم السم فى هذا النوع بإنحلاله فى المواد الدهنية فى الجسم أو بتثبيته فى الأنسجة الهضمية أو فى الكليتين.

ودعنى أخبرك عن أشهر أنواع السموم فى التاريخ وأكثرها فتكًا .. ولكن اعذرني فهى بالمئات ولذلك سأخبرك بأشهرهم فقط.

botulinum toxin:

البوتوكس هو الإسم التجارى لنوع خاص من ذيفان الوشيقية أو البوتيولينوم (botulinum toxin) والذى يدعى (onabotulinum toxin A) ذيفانات الوشيقية هى سموم عصبية ينتجها نوع من الجراثيم يدعى المطثية الوشيقية (Clostridium botulinum) يعتبر هذا الذيفان أقوى السموم المعروفة عند الإنسان.

هذا السم يبدأ تأثيرة بعد نصف نهار أو نهار كامل من تجرعه ، فى البداية تظهر صعوبة فى التكلم والرؤية ، ثم شلل جهاز التنفس.

السيانيد (Cyanide):

السيانيد من أكثر السموم شهرةً.

السيانيد من السموم التي يستخدمها الجواسيس في الإنتحار عندما يتم كشفهم والإمساك بهم.

حمض الهيدروفلوريك:

يعتبر حمض الهيدروفلوريك من السموم الخبيثة فهو غير مؤلم وغير ملحوظ ، يقوم بتأثيره المميت دون أن يشعر الإنسان بشيء.

ثنائى ميثايل الزئبق (Dimethyl Mercury):

هو أحد السموم التي تقتل ببطء ، وهذا ما يجعله خطرًا.

إمتصاص جرعات قليلة منه تصل إلى 0.1 ملي لتر تعتبر مميتة ، ومع ذلك فإن بداية أعراضه تظهر بعد شهور من بداية التعرض له ، حيث يكون الوقت قد تأخر جدًا على العلاج.

غاز الأعصاب (VX):

غاز الأعصاب المحظور بموجب اتفاقية الأسلحة الكيميائية لعام 1993م.

من المعروف أن (VX) أقوى غاز أعصاب في العالم.

الريسين (Ricin):

يستخلص الريسين من نبات الخروع ، وهو من أخطر السموم القاتلة ، جرعة صغيرة منه كحبات من الملح تكفي لقتل إنسان.

يعمل عن طريق منع تكوين البروتين في جسم الإنسان اللازم ليعيش ، ويجعل ضحيته تلقى حتفها على الفور وتبدو كالإصابة بالصدمة.

البولونيوم (polonium):

البولونيوم سم مشع ، يقتل ببطء وليس له علاج ، جرام واحد من البولونيوم الغازي يمكنه قتل 1.5 مليون شخص في غضون شهرين.

الزئبق:

هناك ثلاثة أشكال للزئبق خطيرة للغاية (الزئبق العنصرى – الزئبق العضوى – الزئبق غير العضوي)

الرصاص:

الرصاص يهاجم كل عضو من أعضاء الإنسان ، وبالتالي يظهر تأثيره في العديد من الأعراض ، وهي تبدأ من الإسهال إلى التخلف العقلي.

سم البوتولينيوم:

البوتولينيوم يسبب التسمم الغذائى ، وهو قاتل إذا لم يعالج على الفور ، تأثيره يشمل شلل العضلات ، مما يؤدى فى النهاية إلى شلل فى الجهاز التنفسى ومن ثم الموت.

الزرنيخ:

الملقب بملك السموم ، لدقته وقوته ، هو فعليًا غير قابل للكشف ، حيث يستخدم غالبًا فى جرائم القتل الغامضة.

ولكن فى النهاية دعنى أقول لك سرًا خطيرًا لا يعرفه إلا قلة من الأطباء .. سر عن سم لا يترك أى أثر فى جسد الضحية حتى بعد عملية التشريح إنه أشبه بالسحـــر .. يدعى Aconitine! فى الأصل يستخدم كمسكن وخافض للحرارة ولكن عند زيادة الجرعات يصبح سم قاتل! سم مثالي لقتل سيد الخشن!

ولكن كانت هناك معضلة بسيطة .. أنه لا يتواجد إلا فى الصين! أنى له بإتيانه؟!

الآن انتهيت من شرح نبذة لا تكاد تذكر عن السموم وأنواعها وإستخلاصها وطريقة إستخدامها.

أنت الآن أصبحت فى دماغ مالك وتعرف السموم مثله وفيما يفكر فيه!

ولكن السموم كثيرة وكثيرة ومنها شديد الندرة ومنها باهظ الثمن ومنها صعب إستخراجه من نباتات نادرة أو تنبت فى أماكن محددة يصعب الوصول إليها .. ومنها

أيضًا يستحيل الوصول إليه لعدم توافره إلا فى بلاد أو أماكن محددة أو سموم من مركبات غير عضوية يصعب إستخلاصها.

ومالك يريد سم ذو مفعول قوي سهل الإستخدام ويسهل الحصول عليه بالتأكيد ، وأيضًا لا يترك أثرًا على الإطلاق أو يترك أثرًا بسيط جدًا فى الجسم.

ولذلك انتهى تفكيره بتقليص الإحتمالات وحصر أنواع قليلة من السموم ينوى استخدامها وتلخصت آخرهم فى Botulinum Toxin!

*****

الدكتور عمرو صديق مالك .. عمرو أكبر من مالك ب١١ عامًا .. الدكتور عمرو يمتلك عيادة كبيرة يجني منها أرباح طائلة فلقد تخصص فى عمليات جراحة التجميل.

زبائنه فى العادة من النساء .. ولأصدقكم القول لم يدخل عيادته رجل قط!

العديد من عمليات التجميل المختلفة حسب رغبات زبائنه ولكنها انحسرت تقريبًا فى أربع عمليات شد .. نفخ .. تكبير .. تصغير .. وبالتأكيد أنت تعرف وظيفة كل واحدة منها فى الجسد!

أخرج مالك هاتفه المحمول وبحث عن اسم عمرو فى سجل الأسماء واتصل به.

عمرو:

- ياااااه أخيرًا أفتكرت إن ليك صاحب اسمه عمرو وكلمتنى؟! أنت فين بقالك شهرين يابنى!

مالك:

- حقك تزعل أنا عارف إني مقصر معاك بقالى فترة ومش بسأل ، بس غصب عني فعلًا الكلية والإمتحانات واخدة كل وقتي ، وعشان متزعلش هعدي عليك فى العيادة النهارده الساعة ٩ بالليل أسلم عليك وأقعد معاك شوية وفيه حوار مهم كنت عاوزك فيه!

عمرو:

- حوار إيه خيـر؟!

مالك:

- لا متقلقش مش حاجة يعنى لما أجيلك هحكيلك.

عمرو:

- ماشى يا عم هستناك تجيلى وأشوفك وتحكيلى فى إيه!

مالك:

- خلاص تمام اتفقنا على ميعادنا بقى ، يلا سلام.

عمرو:

- أوك يلا سلام.

*****

الساعة ٩:٠٠ مساءً.

وصل عيادة صديقه الدكتور عمرو فى الميعاد بالتمام التاسعة مساءً.

دخل العيادة وأخبر السكرتيرة إن الدكتور عمرو فى انتظاره فأخبرته أن ينتظر قليلًا وسيدخله فور خروج المريض من عنده.

وبالفعل انتظر عدة دقائق حتى خرج المريض ودخل مباشرةً بعده.

فتح باب الحجرة وسلم على صديقه بحرارة وجلس.

مالك:

- مش تقولى إنك جددت العيادة دا أنا شوفتها من بره معرفتهاش ، الله يسهلوا شكل العمليات عملا شغل حلو معاك أوي.

عمرو:

- حيلك حيلك الله أكبر يا عم أنت جي تسلم عليا ولا تحسدني؟ هى دى كلمة مـبروك؟

مالك:

- ياباشا ألف مليون مبروك كمان ولا تزعل نفسك.

عمرو:

- ماشى يا عم تشكر ، المهم انت عامل إيه فى كليتك ووالدك ووالدتك عاملين إيه؟

مالك:

- الكلية طحن وميدترم وفاينل الواحد مش ملاحق ، بس أنا مظبط أموري .. صمت قليلًا وأكمل بتنهيده: والدي ووالدتي كويسين بس سافروا شوية يغيروا جو.

عمرو:

- طب الحمدلله الدنيا كويسة يعنى ، المهم أنت قلت إنك عاوزني فى حاجة مهمة؟

مالك:

- آه فعلًا ، كنت محتاج Botulinum Toxin.

قطب عمرو حاجبيه وأجاب مستغربًا:

- Botulinum Toxin؟ بوتكس يعني؟ ودا أنت محتاجه فى إيه؟! أنت بقيت معانا فى المهنة ولا إيه؟!

مالك:

- لا يا عم ماليش فى المهنة الغريبة بتاعتكم دى! الحكاية كلها أم واحدة صاحبتى كانت عاوزه تظبط وشها ، وأنت عارف بقى شغل الستات واللّي بيحبوه تنفخ هنا وشد هنا عشان فى الآخر يبانوا إنهم صغروا ٥ سنين.
بس المشكلة إن الدكتور اللّي بتتعامل معاه قالها أنه مش متوفر معاه دلوقتى ، وممكن كمان شهر أو اتنين وهى مستعجلة جدًا عليه عشان فرح صاحبتي كمان أسبوعين ، وصحبتني سألتني إذا كنت أعرف حد متوفر عنده Botulinum Toxin ، وكلمتك على طول.

عمرو:

- طيب يا سيدي بسيطة جدًا هتهالي وأنا عشان خاطرك الأسبوع دا هكون زبطت الدنيا معاها وهعملها Discount كمان!

مالك:

- قلتلها فعلًا كده وكلمتها عليك! قلتلها واحد صاحبي شاطر ومتخصص فى الموضوع دا وفاتح عيادة وممكن تروحيله ، بس بعد كده فهمتني إن الدكتور اللّي هيعملها العملية دا قريبهم ومش هياخد منهم أى فلوس أو أتعاب ، وإنه

بس كانت مشكلته فى Botulinum Toxin ، فلو اتوفر وبقى معاه مفيش مشكلة.

عمرو:

- مممم خلاص يا عم مش هزعلك مع إنك ضيعت عليا مصلحة حلوة.

مالك:

- مردودالك يا كبير.

قام الدكتور عمرو وفتح خزينة مغلقة بمفتاح ورقم سري محفوظ بها عدة أدوية هامة وغالية الثمن ، وأخذ من وسطهم Botulinum Toxin وأعطاه لمالك.

عمرو:

- خد بالك بقى عشان أنت عارف المادة دي خطر إزاى وغالية قد إيه!

مالك:

- قولي بس الأول حسابها كام؟!

عمرو:

- متخلنيش بقى أزعل منك! ابسط أنت أم صاحبتك ومتنساش تعزمني على الفرح.

مالك:

- لا الفرح بس يخلص وهاجي أحاسبك عليها عشان متقولش شيلتك جِميلة.

عمرو:

- ماشي يا عم خلص الفرح ونبقى نتكلم.

مالك:

- عينيا الإتنين ، هطير أنا بقى عشان معطلكش وأسيبك مع زباينك.

عمرو:

- أوك يا معلم أبقى كلمنى فى يوم كدا نخرج.

مالك:

- متفقيـن ، يلا سلام.

عمرو:

- سـلام.

خرج من عيادة صديقه .. ومع بعض الكذبات المقنعة لم يلاحظ الدكتور عمرو أى شُبه فى إحتياجه لى Botulinum Toxin .. وتمت المهمة بنجاح.

إتجه إلى البيت مباشرة وقرر فى الصباح الباكر الذهاب إلى معمل الكلية لتعديل بعض مكونات وعناصر Botulinum Toxin ليصبح مفعوله أسرع! والسم جاهزًا للإستعمال!

*****

اليوم التالى.

وبالفعل فى الصباح الباكر .. السابعة صباحًا .. إتجه مالك لمعمل الكلية وأجرى عدة تجارب وأبحاث .. وأضاف بعض المكونات والتركيبات لتصبح التركيبة أو بالأدق السم مهيأ على أكمل وجه.

أمضى النهار بطوله فى المعمل حتى أنه لم يشعر بمرور الوقت إلا بعد الإنتهاء من تجاربه .. وبالفعل أصبحت جاهزة.

أخذ التركيبة وفتح هاتفه ليتصل بمراد ويخبره بما وصل إليه وكيفية عملها وإضافتها للطعام أو للشرب.

مالك:

- التركيبة جاهزة!

ظهرت علي مراد علامات الفرح والسرور ورد قائلًا:

- هى دي بقى اللّي بيقولوا عليها الأخبار الحلوة ، كنت عارف إنك قدها وقدود يا دكتور ، كدا ميبقاش غير الخطة والتنفيذ ، أنا هعرف مؤمن ابن سيد الخشن كل اللّي وصلناله وهو هيقولنا نعمل إيه ونتصرف إزاى ، استنى مني تليفون يا برنس ، ســلام.

وأغلق مراد المكالمة.

لم يكن فى جمجمته سوى شيء واحد! سماع المكالمــة!

انطلق عائدًا إلى البيت بأسرع وقت .. والفضول ينهش بعقله عما دار بين مراد ومؤمن لأنه على يقين أنه سيحدثه فور إغلاق مكالمته معه ليخبره بالتفصيل ما حدث .. وقد كـان.

وصل البيت وجرى إلى غرفته حتى بدون خلع حذاءه وفتح الLaptop الخاص به.

للأسف لن يستطيع سماع سوى صوت مراد فقط وهو يتحدث فى هاتفه المحمول.

تحدث مراد بصوت كله بهجة:

- سعادة الباشا جايبلك خبر ب١٠٠ مليون جنيه!

صمت مراد قليلًا وأكمل قائلًا بنبره مطمئنة:

- مظبوط سعادتك الواد عمل التركيبة وكله فى الأمان متقلقش ، والواد دلوقتي فى جيبي وكلامي سيف على رقبته.

صمت مراد قليلًا وأردف قائلًا بلهجة الخضوع والطاعة:

- أنت صح ياباشا أجيلك أأمن ، ساعة زمن وأكون عند سعادتك ، فى أمان الله ياباشا مع ألف سلامة مع ألف سلامة.

وأغلق المكالمة.

صوت مراد يتحدث:

- خلاص ياد يا بيومي الواد مالك عمل التركيبة وكله فى التمام ، ياد والنعمة دي مش مصدق ، أنا شامم ريحة الفلوس من دلوقتي!

صوت بيومي:

- مين كان يصدق إنها هتلعب معاك بجد وهيبقى معاك فلوس! دا أنت جت عليك أيام مبتحطش فى بقك لقمة عشان معكش جنيه تشترى أكل.

مراد:

- انسى يلا الأيام الوسخة دي بوش أمك اللّي جايبلنا الفقر ده! كلها أيام وهبقى مراد بيه وهدوس على الناس كلها ، وكله يبقى تحت رجلي ، بالفلوس أشتري أى حاجة وأدوس على أى حد وكله يعملي حساب ويبقى ليا شنه ورنه!

قوم يلا كدا نادى على جميلة تعملنا كوبيتين شاي عشان رايح للباشا أحكيله على اللّي حصل ويقولي أتصرف إزاي!

بيومي:

- ماشى يا رايق.

وأغلق مالك الLaptop.

بعد سماع المكالمة التى دارت بين مراد ومؤمن استنتج مالك أن مراد ما هو الا أداة مؤمن لتحقيق هدفه المنشود .. ومراد يستغل مالك فى تحقيق ذلك الهدف بطريقة غير مباشرة

بحكم كونه طالب فى السنة النهائية بكلية الطب وعلمه وخبرته الدقيقة فى معرفة السموم .. ولذلك هو الأنسب فى تنفيذ جريمة قتل سيد الخشن بدون ترك أى دليل يثير الشبهات وتظهر الجريمة ماهى إلا موته طبيعية جدًا بسبب إنتهاء عمر سيد الخشن والفضل يعود لمالك فى ذلك.

*****

اليوم التالى.

الساعة ١١:٤٧ صباحًا.

هاتف مالك يرن.

التقط هاتفه المحمول ونظر من المتصل .. إنه مراد .. واستجاب للمكالمة.

مراد:

- إيه يا دكتور نايم لحد الضهر ولا إيه؟!

مالك محاولًا الإفاقة:

- لا .. أنا صاحي أهو.

مراد بلهجة آمره:

- تجيلي دلوقتي ضروري!

وأغلق المكالمة.

مسح مالك وجهه بباطن كفه.

- كل يوم بقيت أصطبح على وشك الزفت يا مراد!

جلس لدقائق على السرير محاولًا الإفاقة والإستيقاظ على قدر الإمكان.

تثائب كثيرًا وبعدها قام من على سريره ودخل الحمام وغسل وجهه بماء بارد.

نظر إلى المرآة مطولًا وكأن حديث طويل يدور بينه وبين نفسه.

جفف وجهه وخرج .. وفتح دولاب ملابسه وقرر الذهاب إليه.

طريق طويل قبيح لطالما كرهه حتى وصل إلى الحارات الشعبية القذرة.

ركن سيارته مباشرة تحت البيت المتهالك.

رنّ الجرس وفتح له مراد.

مراد:

- شرفت يا دكتور.

نظر مالك إلى مراد فى صمت ودخل البيت وهو يعلم أين سيتجه .. إلى الطابق الأول.

تحرك مالك وأتبعه مراد بعد أن أغلق الباب .. ودخلا الغرفة المُعتادة.

جلس مالك على الكرسي المقابل للأريكة.

قال مراد:

- هروح أجيب بيومي وجميلة عشان هما معانا فى الحوار برضك.

مالك:

- ماشى مستنيك.

وبعدها بدقائق عاد للغرفة مراد ومعه بيومي وجميلة وجلسوا على الأريكة سوية.

نظر مراد إلى بيومي باشمئزاز وقال:

- ولا يا بيومي بروح أمك كدا فوق معايا عشان نخلص أم الحوار ده ، عشان شكلك مافوقتش من اصطباحه إمبارح.

بيومي:

- لا يا أخويا معاك وفايق أهو.

مراد بعصبية أكثر:

- لا أنت فايق ولا شايفني أصلًا ، ركزوا أنتوا معايا ، سيد الخشن زي ما قلتلكم تاجر كبير أوي وشغال فى تجارة الخشب والموبيليا وعنده معرض عربيات ، الراجل ده بتاع شغل وبس ، بينزل من بيته الساعة ١٢ الضهر ومبيرجعش قبل الساعة ١ بالليل ، يومه كله فى المعرض ، يبقى إحنا الوقت اللّي معانا اللّي هو مش موجود فى بيته.

وأشار إلى مالك وأكمل قائلًا:

- على حد قولك التركيبة دي ممكن تتحط فى الميه وتتشرب لا حس ولا خبر ، ودا اللّي حكيته لمؤمن بالضبط وقالي إن سيد الخشن اللهم احفظنا عنده مرض وبياخد له علاج بيسموه مرض مزم... مزمل...

مالك:

- مزمن؟!

مراد:

- اه هو البتاع ده ، إنتوا الدكاترة عليكم شوية كلام غريب!

المهم يعني قبل ماينام بياخد العلاج وجنبه على الطرابيزة إزازة ميه بيشرب منها ويروح فى سابع نومه ، إحنا هنا بقى شغلتنا!

مؤمن إتفق معايا إنه هيدينى نسخة من مفتاح البيت وأنا هدخل أبدل إزازة الميه اللّي جنب سيد الخشن بإزازة تانية فيها التركيبة وبعد ما يتسممها إن شاء الله هرجع إزازة الميه الأولانية مكانها أكن محصلش حاجة ، وبكدا تبقى أوضيت.

قطع بيومي كلام مراد بتفاهه قائلًا:

- يا سلام عليك ياض يا مراد دماغك دى ألماظ والله.

وأكمل مراد كلامه متجاهلًا بعمد جملة بيومي:

- بس مؤمن قالى الفيلا فيها خدامين والذي منه ، قولته يعنى الحوار كدا باظ؟! قالي ولا تقلق الخدامين أجازتهم الأربع وبيرجعوا الخميس الصبح ، عشان كدا هنفذ يوم الأربع بالليل اللّي مش هيكون فيه حد غيرنا إحنا والشيــطان!

مالك رافعًا حاجبيه:

- دا انتوا مخططين لكل حاجة بقى ومفيش حاجة فيتاكم!

مراد بثقة زائدة:

- عيب يا دكتور مش لوحدك صاحب المفهومية!

وصحيح يا دكتور ..وصمت قليلًا ثم أردف:

- نسيت أقولك لو لعبت بديلك أو أنا حصلي حاجة أو التركيبة طلعت فشنك والحوار باظ فالمقطع دا مش معايا لوحدى!

عض مالك على شفتيه قائلًا:

- يعنى هتودينى فى داهية فعلًا!!

قرب مراد وجهه من وجه مالك وقال بكل بجاحة بملء فمه:

- دا أنا أودي أبويا فى ٦٠ داهية لو وقف قصادي!

ياله من وغـد .. نعم صدق مالك! مراد لا يكترث لأحد سوى نفسه ثم نفسه ثم نفسه.

سينفذ ما خطط له هو ومؤمن ولن يوقفهم أحد!

أدرك أنه لا حاجة له فى البقاء أكثر من ذلك وأحس بالضيق الشديد وغادر المكان.

واتصل بصديقه الدكتور عمرو ليخرج معه قليلًا.

*****

بعد عدة أيام .. الساعة ٧:٠٦ مساء يوم أربع.

هاتف مالك المحمول يرن .. نظر إليه .. إنه مراد!

ضغط على فتح وإستقبال المكالمة.

قال مراد بأسلوب إلزامي وفرض:

- تعالى دلوقتي وهات معاك التركيبة هنفذ الليلة! ومتجيش بعربيتك!

رد مالك باستغراب:

- ماجيش بعربيتي؟! اشمعنا؟!

قال مراد بعصبية وصوت مرتفع:

- متسألش كتيـر! ساعة وتكون قدامـي!

وأغلق مراد المكالمة بوجه مالك.

- الكلب ده فاكر نفسه إيـــه! دا بيأمرنى وبيهددنى كمان! الكلب دا نسي نفسه باين ، ماشي أصبر عليه لحد ما نخلص أم الحوار ده ويغور فى داهية!!

ارتدى ملابسه وأخذ معه زجاجة السم.

وبدأ التنفيذ لكل شيء طبقًا للخطة بالحرف الواحد.

وصل عند بيت مراد الساعة ٨:١٩ مساءً.

ضغط على جرس الباب وفتح له بيومي بعينين محمرتين مرتديًا فانلة بيضاء بحمالات على رغم برودة الجو!

بيومي:

- اتفضل يا عريـس الليلة ليلتك .. "وقهقه بضحكة هستيرية حتى سعر صدره بسعال قبيح".

لم يهتم مالك وصعد الدرج إلى الحجرة كالعادة وكان بانتظاره مراد.

قال مراد:

- جبت التركيبة؟

أخرج مالك زجاجة صغيرة الحجم للغاية.

قال مراد مستنفرًا:

- إيه ده! إيه البتاعة دي؟ هى دي التركيبة؟ دا فيها نقطتين!

رد مالك بثقة شديدة وصوت هادئ:

- اللّى مش عجباك دى ممكن تموتنا كلنا و١٠٠ واحد كمان!

مراد:

- مااشى يا برنس أنت أدرى مننا برضك!

مالك:

- هات إزازة الميه اللّي هنحطها مكان التانية.

أحضر مراد لمالك زجاجة المياه .. أخذها منه وفتحها وسكب بها التركيبة كلها بعناية وإحترافية شديدة بعدة أدوات طبية متعددة مختلفة الإستخدامات .. بعد أن كَسَىَ يديه بقفاز طبى.

مالك:

- كده الإزازة جاهزة!

التقط مراد الزجاجة من مالك ورفعها لاعلى واتجه نظر الجميع إليه وقال:

- هى دي تذكرتي اللّي هتنقلني من الفقر.

بيومي:

- طب يلا بقى يا زميلى عشان نلحق.

وضع مراد يده على كتف بيومي قائلًا:

- يلا يا صاحبي ، ويلا بينا كلنا ، وعدى على جميلة تحت وحصلونا على بره.

وبالفعل تحرك بيومي وارتدى ملابسه وأحضر معه جميلة .. وهبط الجميع إلى أسفل المنزل فى الشارع.

تقف أمام المنزل سيارة ماركة هيونداي فيرنا سوداء وبزجاج معتم وبلا لوح أرقام!

أشار مراد إلى السيارة وأعطى لمالك المفتاح قائلًا:

- هى دى العربية اللّي هنتحرك بيها ، وأنت اللّي هتسوق.

أخذ مالك من مراد المفاتيح وركبوا جميعًا السيارة .. مالك يقود السيارة وبجواره مراد .. وبالأريكة الخلفية يجلس بيومي وجميلة.

أدار مالك المحرك .. وبدأ بالتحرك.

قال بيومي موجهًا كلامه لمراد:

- قولى ياض يا مراد إيه أول حاجة هتعملها لما تاخُد الفلوس؟

رد مراد بعد تنهيده:

- تصدق ياض يا بيومي على قد ما أنا نفسي فى كل حاجة زى ما اتحرمت من كل حاجة ، بس مش عارف إيه أول حاجة هعملها! ولا ياض استنى كده! أول حاجة هعملها هستحمى أحلى حمومة ولا حمومة العيد وهفضل تحت الحنفية يجى يومين تلاتة كده أطلع كل الفقر من جتتي ، بعدها هشترى هدوم ومش أي هدوم لاااا أغلى هدوم وأحلاها ومن أحسن مكان وألبسها على نضافة وشياكة ، وأروح على أغلى مطعم و أطلب كل حاجة عنده إن شالله يجبلي المطبخ كله وآكل لحد ما أفطس ويغمى عليا ، ومكتفيش بكده لا هحلي كمان من عنده بسبوسة وكنافة وأاااى حاجة فيها سكر وأعيش أحلى ليلة ولا عريس فى ليلة دخلته ، وبعدها هروح أغير اسمي آه ، اسم أنا أختاره وأبدأ بيه حياتي الجديدة اللّي هبقى فيها غني وأتمتع بكل حاجة ، كل حاجة فى حياتي الجديدة أنا اللّي هخترها وبكيفي أختار اسمي ولبسي وأكلي وكل حاجة كل حاجة ، مفيش حاجة هتتفرض عليا ، محدش هيجبرنى بعد كده على حاجة ، أي حاجة تطق فى دماغى هعملها ، مفيش بعد كده خناقات وضرب نار وقلة قيمة ، ولا بطنى تبقى فاضية وأنام جعان ، هتعشى كباب وحمام ، وهفطر كمان كباب وحمام ، مش هخلي فى نفسي أي حاجة مش هعملها.

قاطعه بيومي قائلًا:

- بس إيه يا صاحبي طيب مش هتتجوز؟

قهقه مراد ضاحكًا من كلام بيومي قائلًا:

- يخربيت فقر أمك ياض يابن نعمة ، ودى حاجة ممكن تفوتني؟! هتجوز طبعًا ياض ومش هتجوز أي واحدة ، أنا عاوز برنسيسة ، بت بيضة ، عينيها خضرا ، جسم غزالة مرسوم بالريشة كده زي ما بيقولوا ، بت مشفتش غير الدلع ، واللّي مشفتش غير الدلع هتدلعني وهتبسطني وأنا مش عاوز غير إني أتدلع وأتبسط ، عاوز واحدة كدا تشيلني على كفوف الراحة وتعملي كل اللّي نفسي فيه ، عارف ياض يا بيومي فيلم سي السيد؟

رد بيومي:

- أيوا ياخويا ومين ميعرفهوش ده!

مراد:

- أهو أنا عاوز أبقى كدا بالظبط أتشرط وأشطح وأنطح وهى تقولي حاضر يا سي السيد عينيا يا سي السيد.

قاطعه بيومي ضاحكًا بلهجة نسائية:

- حاضر يا سي مراد.

ضحك مراد وأردف:

- بدأت تفهمنى يا ابن العبيطة! وعارف كمان هعمل إيه؟ ها...

وهنا قاطعه مالك بلهجة إستفزازية لم يقصد منها سوي السخرية:

- وأنت فاكر لما تاخد دش وتجيب لبس من Brands أو تروح Restaurant غالى كدا أنت بقيت ابن ناس و بقيت من أثرياء القوم؟ لا أنت كدا واحد محروم وجعان مصدق شاف عضمة هبش فيها وبعد ماهبش فيها شاف حتة لحمة راح ساب العضمة وهبش فى اللحمة وهكذا هتفضل طول عمرك جعان ومحروم ومفيش حاجة تملى عينيك! وهتبقى عاوز أكتر وأكتر وأكتر ، اللّي اتولد جعان وعاش جعان مبيشبعش ، واللّي اتولد عينيه مليانة ميهزوش ولا مليون حاجة ، هتفضل كدا جعان ومحروم لحد ما تموت ، هتفضل تجرى ورا كل حاجة تزغلل عينيك ، ريقك هيجرى على أى حاجة شايف إنها حلوة حتى لو أنت معاك أحسن منها ، مهما لفيت وروحت وجيت وعملت كل حاجة نفسك فيها وكل ما تتمناه مش هتشبع برضو ، عشان

أنت جشع عمره ماهيستكى بحاجة ، أنت جعان وعمرك ماهتشبع حتى لو كلت تراب الأرض كله!

صفق مراد بيديه بقوة خارقة حتى احمرت وازرقت يداه:

- براڤو يا دَكتور مالك هايل والله تحية مني ليك ، لامؤاخذة مش دي المحاضرات والندوات اللّي بتبقى فى التليفزيون اللّي بيتفرج عليها الدكاترة اللّي زيك وبس؟ اللّي يطلع فيها دَكتور زيك ويقولك إحنا سبب الفقر ، إحنا سبب كسل المجتمع ، إحنا اللّي عاملين كده فى البلد! إحنا سبب التأخر وأصل المشاكل! بس إيه رأيك بقيت أتكلم زيك بأسلوب زى ما بتقولوا متحضر؟ لا بص يلاااا كدا واسمعني كويس ، اللّي زيك وزي أبوك اللّي هو مش أبوك أصلًا واللّي زيكم ، شفطوا البلد كلها فى كرشهم وكوشوا عليها ، ومسابوش حاجة للّي زيي واللّي زي بيومي ، بس انت عندك حق إحنا فعلًا كلاب شوارع! بس عارف ليه كلاب شوارع؟ عشان ملقيناش بيت يشلنا ويربينا ويعلمنا الصح من الغلط ، إيه الوحش وإيه الحلو ، اتربينا فى الشوارع والحواري ، اتربينا على الكدب والخيانة والسرقة والوساخة والتتانة وكل حاجة بنت ستين وسخة فى الدنيا بتاعتك دى ، أتربينا إزاى تعمل أى حاجة

تجيب منها قرش تكفي يومك ، أى مصلحة تجلنا منها فلوس نمسك فيها بادينا وأسنانا لحد ما نجيب آخرها.

كشف مراد عن بطنه ليزيح الستار عن جرح بشع ببطنه يمتد لما بين الكليتين وقال:

- شايف دي؟ دى ٣١ غرزة شقوا بطنى ولاد الحرام عارف عشان إيه؟ عشان ١٠ جنيه! إيه مش مصدق؟! آه كنت هموت وهتدبح زي الخرفان عشان ١٠ جنيه لولا الواد بيومي هو اللّي نجاني ونقلني على المستوصف ومسبنيش لحد ما وقفت على رجلي من تاني!

ال١٠ جنيه دي بالنسبالك تشرب بيها شاي ، بس بالنسبالى تكفينى يومين أكل! إحنا شالتنا بطن واحدة ٩ شهور واتولدنا فى يوم واحد وسخ مطلعطلوش شمس! بس انت روحت عيشت فى بيت أكابر ولاد ناس مخلوش فى نفسك حاجة ، فاتربيت على العز والنغنغة ، عيشت أحلى أم عيشة ميحلمهاش حد ، كل حاجة نفسك فيها تتجبلك تحت رجلك وبدون مقابل ، أما أنا عيشت أوسخ عيشة معشهاش فار جربان ، باكل من الزبالة ، وأخوّن الناس ، أسرق وأنهب عشان أعيش ، هو ده الفرق بينى وبينك انك محستش بالحرمان بالوجع بالجوع بالتعب بالنقص بالذل بكسرة النفس ، أنت محستش بأى حاجة من دول مع انك أخويا التوأم!

بتلك الكلمات الموجعة كالسهم المسموم عبّر مراد عن الوجع المدفون بداخله طيلة سنوات حياته .. عبّر عن مر ما ذاقه من ألم وقهر حملهم داخل طيات صدره وبجوف ظلمات قلبه .. انفجر كالقنبلة الذرية بل أشد .. تحدث عن أقصى ما يمكن أن يصيب إنسان أن يعيش بلا أسرة أو مأوى أو هدف .. تكلم عما دفنه داخل قلبه وصبر عليه حتى ملّ الصبر منه وتعب .. إن حياته أشبه بالجحيم الذى لطالما وصف بأنه أشد أنواع العذاب والذل .. كلماته القوية أخرصتهم جميعًا فلم ينطق أحد بعده بحرف.

الساعة ١٠:٢١ مساءً .. الجو قارس البرودة بالخارج وعواصف ترابية شديدة.

اقتربوا جميعًا من كومباوند بأحد الأحياء الراقية فى أقصى العاصمة.

مزق الصمت الرهيب مراد قائلًا:

- مش هندخل من البوابة الرئيسية ، هندخل من البوابة الورانية رقم ٦!

رد مالك:

- اشمعنا البوابة رقم ٦!

مراد:

- البوابة الورانية رقم ٦ واقف عليها فرد أمن واحد بس! اسمه جابر عنده ١٩ سنة الواد ده من المنوفية!

قبلها بكام يوم قعدت الف حوالين المكان ، أفهمه وأشوف طبيعته إيه! عشان يوم ما ننفذ أعرف أدخل إزاى وهعمل إيه! عشان مؤمن ابن سيد الخشن قالي داخلة المكان دي بتاعتك انت اتصرف فيها أنا عليا مفتاح الفيلا وبس!

خت بالي إن البوابة الورانية محدش بيخش منها ومش مهتمين بيها زى الرئيسية أو أى بوابة تانية ، وده عشان المكان متسكنش كله واللّي اتعمر منه النص الأولاني بس ، والنص الخلفي زى ما بيقولوا كدا تحت الإنشاء فمحدش بيجى ناحيته ، فلامؤاخذة مخففين الأمن عليه شوية وبتبقى ورديتين وردية كل ١٢ ساعة من ٩ لى ٩ ، كل الكلام ده عرفته من الواد جابر.

ضبطت حوار فى نافوخي ودخلت عليه الداخلة الصح ، عملت أكن المكنة عطلت مني وقعدت أسب وألعن فى اليوم اللّي اشتريت فيه المكنة ، الواد شافني من بعيد واقف على الطريق قدام البوابة الناحية التانية خدته الرجولة وجرى عليا.

جابر:

- فى إيه يا أخينا واقف كده ليه؟

مراد:

- لامؤاخذة يا صاحبي المكنة عملتها تاني وعطلت ، ومش عاوزه تدور بنت الكلب!

جابر:

- هو المكن الصينى كدا مبيعمرش ، هات المكنة وتعالى ورايا عند البوابة نشوف حوارها إيه!

مراد:

- تشكر يا صاحبي مش عاوز أتعبك معايا ، كلك مرجلة يا؟!! هو الكريم اسمه إيه؟!

جابر:

- أخوك جابر من المنوفية.

مراد:

- عاشت الأسامي يا جابر ، وأنا سعد نقاش فى الكومباوند اللّي جنبك.

جابر:

- دا إحنا طلعنا جيران كمان ، تعالى عندي فى الأوضة بتاعة الأمن دفا عن برا ونعملك واجب الضيافة عشان متقولش علينا بخلا.

مراد:

- كلك مرجلة يا صاحبي ، ومش هزعلك وهشرب كباية شاي معاك.

وفعلًا دخلنا أوضة الأمن وقاعدنا وشربنا كوبيتين الشاي وبقيت أقرره على كل حاجة!

مراد:

- مش طالبين ناس هنا تشتغل أمن؟

جابر:

- ناوى تسيب النقاشة وتشتغل فرد أمن؟!

مراد:

- لا مش ليا دا الواد أخويا إبراهيم عنده ١٧ سنة معاه إعدادية وبدورله على شغلانة ياكل منها عيش.

جابر:

- هما طالبين فعلًا ، بس نصيحة بلاش.

مراد:

- ليه بلاش؟

جابر:

- شغلها كله شقى وذل ، ١٢ ساعة فى اليوم ورديتى من ٩ بالليل لى ٩ الصبح ، حتى الأكل ساعات بينسوني ويجبولى طقة واحدة فى اليوم ، وتفضل واقف فى عز البرد لحد ما جتتك تنشف وييجي عليك الليل أسقع وأسقع ، وتبقى خايف وأنت لوحدك ليجرالك حاجة ومحدش يحس بيك ، ولا يطلع حد يقتلك وياخد اللّي فيه النصيب ، وكل دا على إيه؟! على ١٥٠٠ جنيه فى الشهر! ضحكوا علينا بيهم ، ولما جه آخر الشهر وفرحان عشان أقبض ، لقتهم قبضونى ١١٠٠ جنيه ، قولتلهم مش دا اللّي اتفقنا عليه؟! قالولي دا بعد خصم الضرايب والتأمينات واحمد ربنا إن إحنا مشغلينك من غير شهادة ، ناس معندهاش ضمير!

مراد:

- وإيه اللّي غصبك على كدا ما تمشي!

جابر:

- لقمة العيش ياخويا ، أنا ليا أربع أخوات بنات ملهمش غيري لو مشتغلتش أي شغلانة ومصرفتش عليهم هيموتوا من الجوع ، دورت على شغل كتير لحد ما رجلي ورمت ، وابن عمى فارس الله يكرمه جابلي الشغلانة دي ، وربك يرزق باللّي أحسن!

مراد:

- ربك يعدلها ، وضيفتك دي على راسي من فوق ، هقوم أنا بقى أشوف المكنة.

كل يوم على الحال ده أعدي عليه فى نفس الوقت ، بحجة إن ورديتى خلصت وإننا بقينا صحاب ولازم أقعد معاه ساعة قبل ما أروح ، وهنا بقى عرضت عليه العرض اللّي عمره ما هيرفضه!

مراد:

- تحب يا صاحبي تكسب ٢٠٠ جنيه مرة واحدة فى يوم؟! لا مش فى يوم بس! دا فى أربع ساعات بس!

الواد ساعتها اتعفرت أول ما سمع المبلغ! اتجنن ونط من مكانه وكان هيبوس رجلى!

جابر:

- مت مت.. متين جنية فى أربع سااااعات!! أبوس إيدك ورجلك قولى إزاى؟؟!!

مراد:

- بسيطة أوي ، هقضي ليلة حلوة بأربع ساعات!

جابر:

- إزاى مش فاهم؟!

مراد:

- أقولك أنا إزاي ، أنا راجل صاحب مزاج ، مش أنا وبس لا ليا اتنين كمان صحابي ، وأنت عارف يا صاحبي أننا شباب وبنحب نفك شوية ونتبسط ونتدلع ، الكبت وحش! بس مشكلتنا مفيش مكان ، بس أنت عندك الحل!

جابر:

- أنا عندي الحل؟! بس إزاي؟! دا أنا محلتيش غير أوضة الأمن وكلها متر فى متر!

مراد:

- بس أنا مقولتش أوضة الأمن!

جابر:

- أمال إيه؟!

مراد:

- أنت عندك اللّي أكبر من أوضة الأمن ، أنت عندك المكان كله ، ونص المكان من البوابة عندك لحد نص الكومباوند صحرا ومفهوش حد ولا عمود نور حتى!

هاجي بعربية أنا واتنين صحابي ومعانا واحدة ، تدخلنا المكان نقضى سهرة حلوة فى العربية من غير لا حس ولا خبر وأربع ساعات ونفك ، وانت ليك الحلاوة وفوقيها بوسة!

جابر:

- أستغفر الله أنت عاوزنى أخد مال حرام؟!

مراد:

- ليه بتحرمه وحللت ال١١٠٠ جنيه؟!

جابر:

- عاوز تقول إيه؟

مراد:

- المكان اللّي أنت بتحرسه متكلف فلوس ياما! ممكن ملايين أنا وأنت منعرفش نعدها صح؟!

جابر:

- صح كلامك.

مراد:

- وأنت هنا لا بيك ولا عليك ، أقل شقة ولا فيلا هنا بمليون جنيه وصاحبها معاه فلوس متلتلة لو عشت أنا وأنت مليون سنة مش هنجمع نصها صح؟! يعنى أنت بتحرس ناس وبتحرس حاجتها اللّي بملايين وممكن تموت فى يوم وليلة وتروح فى ستين داهية ومحدش يحس بيك وده فى مقابل إيه؟!

جابر:

- شوية ملاليم.

مراد:

- أهــو شوفت يا صاحبي أنت لوحدك عرفتها ، ملايين بتحرسها ، وأخرتها العالم الوسخة دى تنام براحتها وتشخر فى بيوتها ويعاملوك معاملة بنت ستين كلب وتاخد ملاليم! يبقى ظلم ولا مش ظلم؟!

جابر:

- ظلم وستين ظلم كمان!

مراد:

- عشان كده الناس دي متستهلش الحلو اللّي بيجي من الفقرا الغلابة اللّي زيك وزيي ، عندهم مننا ألف ، ولو واحد فينا غار فى داهية ، هيبدله بألف واحد غيرنا.

جابر:

- كلامك ده صحا فيا حاجات كتيرة!

مراد:

- أنت زى أخويا إبراهيم وأنا مش عاوز حد يضحك عليك ، ولما لقيت فيه مصلحة حلوة أنت أول واحد جه فى بالي وجيت كلمتك على طول وقولت فى

نفسي ياض يا سعد الواد جابر دا أولى بيها من الغريب ، وجتلك على طول من غير تفكير!

جابر:

- وأنا كمان استريحتلك أول ماشوفتك وهخدمك بعنيا واللّي أنت عاوزه! ومش هاخد منك فلوس كمان!

مراد:

- يا صاحبي متزعلنيش منك ، تاخد حقك وأخد حقي ، أنا ماكلش على حد مال حرام آه ، إلا الحرام أعوذ بالله!

جابر:

- شوف انت عاوز إيه وكلمنى قبلها أأمنلك المكان!

ومن هنا جابر بقى فى جيبى زى شريط البرشام!

الساعة ١٠:٣٤ مساءً.

أخرج مراد هاتفه المحمول وأخذ يبحث عن اسم جابر فى سجل الأسماء.

مراد:

- أحلى مسا عليك يا صاحبي ، جايلك ومعايا المصلحة زى ما اتفقنا.

صمت مراد بضع ثوانٍ وتبدلت ملامحه فى غضب وقال:

- يعنى هو ابن الجزمة دا ميحلالوش يلف غير دلوقتى!

سكت مراد دقيقة ثم أكمل:

- ماشى يا صاحبي مش هتنى كلمتك نصاية هلف وأرجعلك.

وأغلق المكالمة.

قال بيومي:

- الليلة باظت ولا إيه؟!

رد مراد فى ضجر:

- مبظتش ولا حاجة بس على حظ أبونا الفقر بيقولي دورية الأمن بتلف جوا الكومباوند ، ونص ساعة ويخلصوا ، وقالي أول ما يخلصوا هديك تليفون! نستنى لحد ما روح أمهم يخلصوا ويكلمنى!

بيومي:

- ولا تهزك حاجة يا صاحبي روق أنت كدا واتقل على النصاية دى!

رد مراد:

- تقلان ياخويا غصب عن عين أهلى!

واضطر أن يظل الجميع بالسيارة منتظرين مكالمة جابر على أحر من الجمر.

بعد ٣٦ دقيقة.

مراد:

- أما أروح أفك ميه أحسن الواحد هيسرب من كل حته.

نزل مراد من السيارة لقضاء حاجته وماهى إلا دقائق ورجع مرة أخرى .. وما إن صعد السيارة حتى رن هاتفه! إنه جابر!

رد مراد بلهفه:

- إيه يا صاحبي طمنى.

هدأ مراد قليلًا ثم أكمل:

- حبيبي حبيبى ٥ دقايق وأبقى عندك!

وأغلق المكالمة.

صاح مراد فى ضجيج موجهًا كلامه لمالك:

- يلا طيـر مفيش وقت.

الساعة ١١:١٧ مساءً.

تحرك مالك حسب وصف مراد حتى وصلوا إلى البوابة الخلفية للكومباوند.

أشار مراد بأصبعه السبابة وقال:

- هي البوابة اللّي هناك دي ، وجابر اللّي واقف بكشاف ده ، هدي شوية.

أبطأ مالك من سرعته وتوجه لدخول البوابة .. فأشار لهم جابر للتوقف.

مراد:

- لامؤاخذة يا سيد الرجاله لو عملتلك مشكلة!

جابر:

- لا مفيش حاجة هما ساعات بيجلهم هوجه كده ، بس خلاص الدورية دلوقتى عند البوابة الرئيسية ، بس وحياة أبوك متتأخرش!

مراد:

- عيب ياض متصغرناش! ده لو حصل حاجة أفديك برقبتي!

ودث مراد يديه فى جيبه وأخرج منه مائتي جنيه كما وعد جابر.

تطلع جابر فى عيني مراد مباشرةً وتردد قليلًا فى أخذ النقود .. فأحس مراد بهزه داخلية من جابر قد تدفعه للتراجع .. فهب سريعًا لإنقاذ الموقف قائلًا:

- يلاااا يا صاحبي الوقت محسوب علينا وإحنا عاوزين نخلع بدري بدري!

فى النهاية خضع جابر لهيبة المائتى جنيه وكرمشها بقبضه يده وألقاها بجيبه.

ودخلوا جميعًا المكان!

الوغد مراد وصل به الفُجر والإنحلال ليصنع من جميلة عاهرة مقابل المال .. لتكون السبب الأقوى فى دخلوهم المكان .. وذلك هو السبب الرئيسي لقدومها معهم والمشاركة فى الخطة الدنيئة.

من البوابة الخلفية رقم ٦ وحتى منتصف الكومباوند صحراء ورمال لا أكثر .. يبدو أنهم أنهوا بالكامل النصف الأول من الكومباوند من البوابة الرئيسية إلى نصف الكومباوند كمرحلة أولى فى التأهيل والإسكان ولم تبدأ بعد مرحلة التأهيل والتعمير والإسكان للمرحلة الثانية.

مسافة لا تقل عن ٢٠ دقيقة من البوابة الخلفية رقم ٦ وحتى منتصف الكومباوند .. شتان الفارق بين النصفين! وإذ ما دخلوا النصف الأول من الكومباوند والمكان أشبه بالجنة!

ڤلل وقصور فى كل شارع بأسلوب وطريقة النظام الأوروبي الحديث .. الشوارع نظيفة راقية تدل على التحضر والتمدن .. حدائق وجنائن فى الفواصل والتقاطعات بين الطرق والشوارع .. لا تجد سوى كل ما تحتاجه ويسرك .. المكان لا يسكنه سوى أثرياء القوم ومترفيها.

وقبل أن يصلوا بالسيارة للشارع الذى يسكن به سيد الخشن بعدة أمتار أشار مراد علي مالك بالتوقف بجانب الطريق فى مكان شبة مظلم يتواروا فيه عن العيون والأنظار.

وأطفى مالك محرك السيارة وأغلق المصابيح.

مراد:

- هتستنونى هنا زى ما اتفقنا ترقبوا المكان وأنا مش هغيب ، عينيكوا وسط راسكوا حصل حاجة شكيتوا فى حاجة ترنولي هوا وأنا هتصرف!

كَسَىَ مراد يديه بقفاز لإخفاء البصمات وارتدى قناع أسود غطى به وجهه .. ألتقط زجاجة المياه المسمومة وترجل من السيارة وبدأ بالتحرك ناحية ڤيلا سيد الخشن.

أحنى مراد من قامته لأسفل وتسحب فى الخفاء كالقطط الليلية يراقب الطريق يمينًا ويسارًا وكل اتجاه .. وبلمح البصر وثب أعلى سور الحديقة الخارجى للڤيلا الذى لم يتعدى طوله المتر الواحد واندفع باتجاه باب الڤيلا الأمامي مرورًا بالحديقة .. سريعًا ألّتف إلى الباب الخلفي للڤيلا وأخرج المفتاح من جيبه وفتح الباب وقبل أن يمد قدمه تذكر أمر تشديد ابن سيد الخشن عليه بخلع حذائه قبل دخول الڤيلا .. وبالفعل خلع حذائه ودخل المكان.

ڤيلا كبيرة واسعة بحجم ملعب كرة قدم مكونة من ثلاث طوابق .. بها كل شىء من مترفات الحياة ومتعها .. بداخلها كل غالٍ وثمين .. حتى إن مراد ذهل لما رأه وكاد ينسى المهمة التى أتى من أجلها .. الجدران مليئة باللوح الفنية .. التماثيل اليونانية تملء المكان .. سجاد من أجود وأغلى ما يكون يغطى باركيه من أثمن وأندر الأنواع .. المفروشات من الحرير الناعم.

وما إن شاهد التلفاز حتى تلألأت عيناه من المشهد! تلفاز Curved ضخم مثير للدهشة .. ١٠٠ بوصة أو يزيد .. لم يرى مراد مثيله فى حجم شاشته إلا فى السينما ..

سحبه ذلك العملاق وامتلك عقله! وبجواره Stereo Sound System مكون من ٦ سماعات جبارة.

لطم مراد وجهه بكفيه:

- فوق يلاااا كدا يخربيتك وركز متضيعش وقت ، الخطة هتبووووظ!!!

استجمع مراد ما تبقى له من انتباه وأضافه على تركيزه ليكمل ما أتى من أجله.

صعد إلى الطابق الأول على حد وصف مؤمن ابن سيد الخشن ودخل الحجرة الثانية على اليمين بعد صعود الدرج .. ووضع الزجاجة المسمومة وأخذ الزجاجة الأخرى من على الكومود .. وخرج من الحجرة بهدوء.

خرج من الڤيلا من الباب الخلفي الذى دخل منه أول مرة وأغلقه خلفه كما كان بعد أن إرتدى حذائه مرة أخرى .. وتوجه إلى سور الحديقة الأمامي مرورًا بالحديقة وقفز فوق السور مرة ثانية وركب السيارة وأغلق الباب وهو يتنفس الصعداء.

بيومي:

- عملت إيه ياسبع؟

مراد:

- تقدروا تقرولوه الفاتحة من دلوقتى!

قهقه بيومي بضجيج وأعقبها بسعالٍ شديد.

الساعة ١:٣٩ بعد منتصف الليل.

وماهى إلا دقائق حتى ظهرت سيارة آتيه من بعيد.

أشار مراد بإصبعه السبابة ناحية السيارة وقال فى جدية بالغة:

- هو اللّي جى هناك ده ، محدش يعمل شوشرة ولا حركة وأسقطوا بجسمكم لتحت شوية.

وبالفعل نفذ الجميع ما أمر به مراد فى لحظة.

اقترب سيد الخشن بسيارته Mercedes E300 بلون Deep Ocean من أمام بوابة الحديقة الأمامية وبريموت كنترول صغير الحجم فتح البوابة ودخل حديقة ڤيلته.

ركن السيارة أمام الباب الأمامي للڤيلا وأغلق محرك سيارته وأطفئ المصابيح .. ودخل ڤيلته.

وبعدها بساعة ونصف بعد أن تأكدوا جميعًا أن الأنوار مطفئة وسيد الخشن يغط بنومٍ عميق تسحب مراد مرة أخرى ودخل الڤيلا بنفس الطريقة الأولى من الباب الخلفي ..

وأرجع زجاجة المياه الأولى مكانها وأخذ الزجاجة المسمومة .. وانطلق مسرعًا كالفهد ونبضات ضربات قلبه تكاد تمزق صدره من الرعب والجزع.

قال مراد وهو يحاول أن يلتقط أنفاسه:

- اطلع بينا من هنا بسرعة!

بيومي:

- مفيش فقر تانى خلاااص ياض يا مراد.

أدار مالك محرك السيارة وهمّ بالخروج من الكومباوند.

وصلوا إلى البوابة الخلفية رقم ٦ ولمحهم جابر من بعيد فاستقام واقفًا .. اقتربوا من البوابة وسلّم مراد على جابر وشكره.

وبعد ساعتين وصلوا إلى بيت مراد المتهالك .. ركن مالك السيارة أسفل البيت كما أخذها وترجلوا جميعًا منها.

أغلق السيارة وأعطى المفتاح لمراد.

مراد:

- بكره هستنى تليفون من مؤمن وهبشرك!

لم ينطق مالك بحرف .. وتشبع وجهه بالغم والإكتئاب والأسى والكآبة وكل ما يخطر على بالك من معانى ومرادفات الضيق والحزن والأسف.

كل ما فعله انه استقل سيارة أجرة ليذهب للبيت.

طوال الطريق يكلم نفسه ويدور فى عقله ألف حديث وعتاب .. فجعل تفكيره الشديد حاجز غشى عينيه عن الطريق.

- خلاص؟! عملت اللّي عاوزه مراد منك؟! قتلت يا مالك؟! أيوا أنت قتلت! حقيقة عمرك ما هتعرف تهرب منها طول حياتك! قتلت واحد لا تعرفه ولا يعرفك ولا عمرك شوفته! قتلته عشان أنت تعيش! عمرك كان قصاد عمره! واخترت نفسك!

أيوا أنت زيك زي مراد بالضبط أناني ومخترتش غير نفسك! مفكرتش غير إنك تنجي روحك وبس! لحظة قتلك لسيد الخشن خلّت مفيش فرق بينك وبين مراد هو قاتل وأنت قاتل! بقيت معاه فى كفة واحدة! لولاك مكنش مراد قدر يعمل حاجة أبدًا! لولاك مكنش مراد عمل المصيبة دي وقتل!

أنت بقيت دلوقتى قاتل .. ولمرتين.

أقسى عتاب .. عتاب الضمير .. وأشد عذاب .. عذاب النفس .. ومالك يحاسب نفسه أشد الحساب وضميره يجلد ما اقترفت يداه!

لم يدري بنفسه إلا وهو تحت بيته بعد أن نبهه سائق سيارة الأجرة بأنه قد وصل العنوان المطلوب.

أعطاه من الأجرة ما طلب .. وصعد الدرج وفتح باب شقته وأغلقها خلفه.

ألقى بجسده على السرير وغطى فى نوم عميـق.

*****

اليوم التالى .. الخميس .. الساعة ١:٥٧ مساءً.

صوت هاتف مالك يرن.

أبصر مالك بهاتفه .. إنه مراد .. قلبه ينقبض بجزع.

مالك:

- مراد!

مراد:

- إيدك تتلف فى حرير يا دكتور الراجل بيتحاسب دلوقتى! وزى ما وعدتك هتيجي توصلنى المطار وهديك عنوان آنسة ثناء وفوقيهم كمان بوسة.

مالك:

- متفقين!

*****

وبعد عدة أيام .. السبت .. الساعة ٧:٤٩ مساءً.

مالك يطرق باب بيت مراد.

فكان فى إستقباله مراد وفتح له الباب.

نظر لأيدي مالك فوجده يحمل معه شيئًا.

مراد:

- إيه اللّي معاك ده يا دَكتور؟!

مالك:

- هنحتفل! قولت أجيب أكل عشان يبقى بينا عيش وملح!

حدّق مراد لبيومي الواقف بجواره وضحك بسخرية وقال موجهًا كلامه لمالك:

- هتسممنا إحنا كمان ولا إيه؟

مالك:

- لا مش هسممك ولا حاجة أنا مش غبي للدرجادي ، كل اللّي عاوزه منك عنوان آنسة ثناء وأنت غور بالسلامة ، وعشان تطمن هاكل معاك.

مراد:

- ماشي يا صاحبي هصدقك ، اطلع أنت فوق وافتح الشنط وجهز الأكل.

وأكمل كلامه موجهًا لبيومي:

- يلا ياض يا بيومي تعالى نجيب الأطباق والمعالق ، خلينا ناكل وننبسط مفيش فقر تاني ياض وافرد وش أمك ده واضحك.

صعد مالك الدرج متجهًا إلى الطابق الأول ودخل الحجرة.

وهنا استغلت جميلة انشغال مراد وبيومي بإحضار الأطباق والمعالق .. والتي كانت تتصنت عليهم منذ حضور مالك وتحركت كالفئران إلى الطابق الأول ومضت بإتجاه مالك الجالس بمفرده.

مالك وجميلة وجهًا لوجه!

ضربات قلب جميلة فى تصاعد رهيب .. حتى أنك تكاد تسمع صوت ضربات قلبها من شدتها.

فى رهبة وذعر تحاول بلغة الإشارة أن تقول لمالك شيئًا ما بطريقة غير مفهومة وبخشية جعلتها لا تحسن الإيضاح .. وللأسف مالك لا يفقه منها أي شيء وكان عاجزًا تمامًا عن فهم ما تريد قوله.

مالك فى دهشة وتحير:

- أنا مش فاهم منك حاجة ، انتِ عاوزه تقولى إيه؟!

شك مالك أن جميلة قد تكوم معجبة به وقد تطور إعجابها له لحب فأرادت أن تعترف له قبل السفر وترك البلاد .. ولما أكد له ذلك نظراتها له .. حركاتها .. توترها عندما تراه ..

عينيها التي لم تنزل من عليه وتملقها به طوال وجوده .. فتكهن إنها اغتنمت وجوده بمفرده لتفصح له بحبها.

وعلى حين غره اقتحم عليهم خلوتهم مراد وبيومي!

تطلّع إليها مراد فى غضب وقال:

- فى إيه يا جميلة إيه اللّي موقفك كدا؟! الرجاله تنزل وتطلع وتجهز وإنتِ واقفه كده! هزى طولك وانزلى هاتى بقية الحاجات من تحت جتك داهية!

لم يكترث مالك بما جرى فكلهم أنذال ورعاع .. وحتى لو أقرت له بحبها سينفجر ضاحكًا مستهزئًا لا أكثر .. وكل ما يعنيه الآن ويشغل باله عنوان آنسة ثناء والحقائق.

أصبح الجميع الآن يتشاركون فى تجهيز الطاولة معًا .. منتظرين التهام الطعام بفارغ الصبر.

ومرت دقائق لم ينطق أحد فيهم بحرف .. وأكل الجميع الكباب والكفتة والحمام المحشي بشراهة كبيرة حتى كاد بيومي أن يلعق أطباق الطحينة .. وأنهوا طعامهم بعد أن امتلئت بطونهم على آخرها.

وهمّ الجميع بالتحرك إلى سيارة مالك ولم يجلبوا أي حقائب معهم! فتعجب مالك كيف لمسافرين ألا يحضروا حتى حقيبة سفر واحدة وسأل:

- انتوا مش مسافرين؟! فين شنط السفر؟!

مراد:

- إحنا مش هناخد معانا حاجة وهنسافر كدا! هنبدأ على نظافة! هنبدأ كل حاجة جديدة ودنيا جديدة ، ده لو عليا مش عاوز أخد الهدوم اللّي على جتتى دي وأمشى ملط!

وهنا تلاشى تعجب واستغراب مالك.

ركب الجميع السيارة .. مالك يقود السيارة وبجواره مراد وعلى الأريكة الخلفية بيومي وجميلة.

توجه مالك ناحية المطار الذى يبعد عنهم ثلاث ساعات على الأقل.

مزق مالك الصمت الطويل وتحدث موجهًا كلامه لمراد:

- كل حاجة أنت عاوزها أخدتها وكل حاجة طلبتها اتنفذت!

مراد:

- حقك ياخويا ماحدش يقدر يلومك.

دث مراد يده بجيبه وأخرج منها ورقة وأعطاها لمالك.

تناول مالك الورقة وفتحها وقرأ ما فيها .. إنه عنوان آنسة ثناء.

قال مالك بعد أن وضع الورقة بجيبه:

- كدا يبقى إحنا خالصين!

مراد:

- خالصين يا صاحبي.

بعد نصف ساعة أحس مراد بعطش شديد .. وكانت بين مقعد مالك ومراد زجاجة مياة أخذها وشرب منها .. واستأذنه بيومي وجميلة ليشربا هما الآخرين.

قال مراد:

- متقلقش ياخويا بمجرد مسافر المقطع هيتمسح ومش هيبقى ليه أى أثر ، أنا عملت حاجات كتيرة غلط آه بس عندي ضمير ولا يمكن أأذي أخويا بس أنت عارف الظروف واللّي فيها أنا بس كنت بضمن حقي ، فمتخدهاش على صدرك!

قهقه مالك بضجيج وتكلم بنفس أسلوب مراد الهمجي:

- عارف يا مراد ياخويا أنت من النوع اللّي وشه فقر بيعيش فقير ويموت فقير! اتكتب عليك الجوع البهدلة والمرمطة والذل ، وهتفضل على الحال ده لحد ما تموت! موتك هيبقى زي حياتك مفهمش اختلاف!

ضحك مراد وتحدث بثقة:

- ده كان زمان! ماضي وهدفنه! الفلوس دلوقتي معايا في حساب فى البنك وتذكرة الطيران فى جيبي ، كلها ساعة وأعملك باي باي من الطيارة وكل حاجة هتنتهي وهتبدأ دنيا جدي....

توقف مراد عن الكلام وشعور بألم يفتك به فى جميع العضلات .. تصاعد إدراك الجلد .. شعور الزحف الزاحف .. ارتعاش العضلات الصغيرة .. البلع صار أمرًا صعبًا .. أدنى صوت وأقل إضاءة تحدث إزعاج قرع طبول الحروب .. تمنى أن يموت كل شيء حوله ويصبح عدم ليتخلص من هذا الألم الذى لا يمكن وصفه.

ولم ينتهى الأمر على ذلك! تحول الخز إلى تشنج مشترك .. فقد السيطرة تمامًا على تحكمه بالعضلات وخرجت عن سيطرته .. الجسد يأخذ شكل القوس الذى يقع على أعقاب وظهر الرأس .. اليدين والقدمين تصبح مثل العصى .. ضغط الفكين .. الوجه يصير

باللون الأزرق .. مقل العيون غير منقوله .. عروق الرقبة تصبح أكثر بروزًا .. وارتفعت حرارة جسده!

استرخاء وهدوء .. وانتهى الهجوم! أو يبدو أن هذا ما خال إليه!

ليشن هجوم أفظع وأمر من الهجوم السابق .. الهدوء الذى يسبق!

التشنجات فى أقصى مرحلة ممكنة من القسوة .. عضلات الجهاز التنفسى تتوقف عن التعاقد .. غير قادر عن التنفس أو الزفير .. مقل العين ثابتة فى مكانها .. التفريغ غير الطوعي للبول والبراز يحدث.

وذات الأعراض تظهر على بيومي وجميلة!

سكرات الموت تحوم المكان .. الموت قادم لا محالة!

حلّقت أرواحهم عنان السماء .. وصمت فم مراد إلى الأبد....

نعـــم مالك قتلهم! قتلهم جميعًا!

نعـــم أنهى على حياتهم دفعة واحدة!

ولكن...لم يقتلهم بنفس السم الذى قتل به سيد الخشن!

قتلهم بسم الأستركنين!

سم الأستركنين يستخدم لقتل الحيوانات الضالة والمؤذية وغير المرغوبة فيها وبالأخص الكلاب!

وهذا هو الباعث الحقيقى لإصطفاء مالك قتلهم بسم الأستركنين دونًا عن باقى السموم الأخرى!

مالك لم يكن يرى مراد سوى كلب .. حيوان ضال غير ذي نفع .. مؤذي لا يسبب سوى الضرر والأذى والفساد .. رأى أن مراد ماهو إلا حيوان تقوده الغريزة المتوحشة لفعل كل شىء فاسد وسىء ارتضاه لنفسه وأذى به غيره .. قد تناسى آدميتة عن عمد .. أو بالأدق قتل بداخله الآدمية والصفات الكريمة .. ليكون هدفه ومسعاه إرضاء نفسه وذاته بأي وسيلة وطرق ممكنة أو غير ممكنة!

ولذلك أختار سم الأستركنين .. فقتل الكلاب الضالة لا يتم سوى به!

ولكن هذا يجعلنا فى حيرة ويدفعنا للتساؤل! كيف ظل مالك حيًا ولم يمت مع أنه أكل من نفس الطعام؟!

هذا لأن السم لم يكن أساسًا بالطعام .. السم بزجاجة المياه ينتظر الضحية!

أضاف مالك إلى الطعام مادة تسبب العطش الشديد .. وبالطبيعى عندما تشعر بالعطش والجفاف بالحلق وترى أمامك زجاجة مياة ستشرب منها بطريقة لا إرادية لإرواء ظمأك وهذا ما حدث بالضبط.

جهز المادة التى تؤول إلى الظمأ الشديد وسكبها فوق الطعام .. وأحضر زجاجة مياه ووضع بها السم وتركها بين المقعدين!

هذا ما ظل يفكر فيه طوال الفترة الماضية .. ولذلك فكر فى أهم ثلاثة أشياء.

الأولى .. مراد يملك دليل إدانته الذى سيؤدي به إلى حتفه لا محالة إن لم ينفذ له ما أراد وهو قتل سيد الخشن.

ثانيًا .. لا يستطيع الحصول على الحقائق وعنوان آنسة ثناء إن لم يطع كلام مراد.

ثالثًا .. لو قتلهم قبل أن يقتل سيد الخشن فإنه لن يحصل على شىء لا عنوان آنسة ثناء ولا باقى الحقائق والأدهى من ذلك كما أخبره مراد أن الڤيديو ليس بحوزته هو فقط .. بل مع حيازة شخص آخر أعطاه له مراد ضمانًا لحفظ حياته .. وإجبارًا لمالك حتى ينفذ كلامه .. وإن حدث لمراد مكروه سوف يتم تسليم الڤيديو للشرطة.

ولذلك الحل الأمثل والأصح تنفيذ ما أراده مراد وبذلك الحصول على عنوان آنسة ثناء .. والخطوة التى تليها التخلص من مراد وأيضًا بيومي وجميلة.

وافترض مالك أن بيومي هو الشخص الذى كان يقصده مراد بقوله أن الڤيديو ليس بحوذته وحده فقط بل هو مع شخص آخر أيضًا لسببين أساسيين.

الأول .. بيومي هو صديق مراد المخلص والوفي ويعلم عنه كل صغيرة وكبيرة .. وأيضًا لطالما ذكر مراد أن بيومي ليس مجرد صديق عادى بل أكثر من ذلك هو بمثابة أخوه ويملك أسراره وتفاصيل حياته معه.

الثانى .. مراد لن يخاطر بإدخال شريك آخر يقتسم معهم مبلغ الأثنان مليون جنيه .. وقد يدفعه الطمع فى الأكثر ويبتز مراد فى الحصول على نصيب أكبر من المال .. وفوق كل ذلك مراد لا يأمن أحد على نفسه غير بيومي ويخون الجميع.

وبمقتل ثلاثتهم يتخلص من كافة الأدلة والشبهات والشهود .. ويعود إلى حياته الطبيعية.

جريمة أخرى لا غبار عليها.

قُتل الجميع فى سيارة مالك ولم يشعر بهم أحد لوجود تفييم الزجاج المعتم الذى يحجب كل شىء.

وبما أنه فكر وخطط لجريمته لأيام فعلم أين سيتجه وماذا سيفعل.

سيتجه إلى الصحراء وهناك سيدفن خطاياه وماضيه.

*****

قبل مقتل سيد الخشن بيومين.

فتح مالك الlaptop الخاص به ليسمع ما يدور فى بيت مراد.

يبدو أنه صوت مراد يقول:

- هنفذ بعد ما نقتل سيد الخشن!

صوت بيومي:

- هتنفذ إيه يا صاحبي؟!

رد مراد بعصبية:

- ركز معايا كدا وفـــوق! هقتل مالك!

بيومي:

- أنت خلاص فعلًا قررت؟! وهتقتله إزاي؟!

مراد:

- بسيطة ، فكرة ما تخرش الميه ، بعد ما نقتل سيد الخشن ونتأكد إن كله تمام وزى ما أنا عاوز ، مالك كده كده جى عشان يوصلنا للمطار ومستني منى أديله عنوان الآنسة ثناء ، بس أنا هخليه يجيلي قبل ميعاد الطيارة الحقيقى ب٨ ساعات وهفهمه أنها فاضلها أربع ساعات بس ، وفى نص السكة هغير الطريق على أساس إن فيه حد جى معانا وهنقابله على الطريق الصحراوى ، وإحنا على الصحراوى فى مكان مفهوش صريخ ابن يومين هديك إشارة هاتخنقه من رقبته بس متتغشمش لحسن تخنقه بجد وتقلب بينا العربية أنت حجمه بس ، وأنا هقعد جنبه وأطلع المطوة وندخل به على الصحرا!

بيومي:

- يا سلام بالسهولة دى!

مراد:

- وليه مش بالسهولة دي؟! الواد ده عربيته متفيمة ومحدش هيحس ولا هيدرى باللّي هيحصل فى العربية والدنيا كمان هتبقى كحل!

بيومي:

- ماشي يا صاحبي أنا معاك فى اللّي هتعمله!

واختار مالك الصحراء لدفنهم بها .. سيدفنهم فى نفس الوقت وفى نفس المكان الذى نوى مراد قتله ودفنه فيه بالأتفاق مع بيومي!

وكما يقول المثل الشعبي "طباخ السم بيدوقه".

*****

وبالفعل توجه إلى الصحراء وفقًا لتخطيته وخطته المحكمة وشق فى جوفها مسافة عميقة.

بعد سماع ما دار من حديث بين مراد وبيومي ونية مراد لقتل مالك ومساعدة بيومي له فى أي شىء إذن مراد وبيومي شريكين فى كل شيء ولا يستحقان المغفرة ولا الشفقة .. ولكن جميلة ما ذنبها؟!

وبعد أن توغل بالصحراء فى ظلمات الليل المخيفة عدة كيلومترات توقف فجأة بمكان ما.

كفّن كفيه بقفاز من الجلد وترجل من السيارة واتجه إلى صندوق سيارته وفتحه .. التقط منه زجاجة مياه شربها حتى آخرها بدون أخذ نفس فاصل فى الشرب لشدة عطشه.

وبعدها همّ يبحث فى جدية من أمره عن شجرة ما مهتديًا بمصباح سيارته.

الشجرة ما هى إلا علامة تدله على المكان الذى خبئ فيه أدوات حفر قد اشتراها وجهزها لدفنهم بها بعد قتلهم جميعًا.

وجد الشجرة العملاقة وبحث بجوارها .. وما هى إلا ثوانٍ ووجد ضالته.

أخرج أدوات الحفر من حفرة شبه عميقة أخفى بها أدواته .. وبدء بالحفر مهتديًا بمصابيح سياراته الأمامية .. وحفر كثيرًا وعميقًا.

ساعة كاملة يحفر فى باطن الصحراء .. حتى أجهده الحفر كثيرًا بدرجة أكبر مما توقع وأرهق ظهره ومفاصله.

أخرجهم جثة تلو الأخرى من السيارة.

لم يتأثر بتاتًا ولم يؤنبه ضميره إطلاقًا لأنه يرى انهم يستحقون ذلك وأكثر.

أولاً جثة الكلب الرخيص مراد على حد قوله إنه يستحق الموت ألف مرة .. فمرة واحدة لا تكفيه .. والأحق أن الدولة تكافأه على فعلته فهو خلصهم من لص ونشال وأخيرًا قاتل فهو بذلك يطهر المجتمع .. ورماه بقسوة فى الحفرة.

ثانيًا جثة بيومي صديقه الوفي الذى لم يترك صاحبه حتى فى الموت ودفُن معه .. يا له صديق وفي!

وأخيرًا جثة جميلة .. فى الحقيقة شعر بشىء من الذنب إتجاهها فهى لم تفعل شىء .. ولم تشارك فى القتل ولا التخطيط .. بالعكس تمامًا ظلت ساكنة صامتة تفعل ما تؤمر .. فى الواقع هى مجبره أن تكون معهم وتطيعهم .. ولكن كان لابد من التخلص من كافة الأدلة .. عذرًا جميلة.

وفى تلك اللحظة والثانية يرقد الجميع الآن بالحفرة فى سكون أبدي .. ومالك بالردم ألقى حتى اختفوا تحت التراب.

لم يتبقى سوى شيء واحد أخير! إخفاء أدوات الحفر!

أخفى مالك أدوات الحفر كافةً بعناية فائقة .. لدرجة أنه لو أراد البحث عنها ما وجدها!

تبقى على الفجر ساعة واحدة .. الظلام فى أشد بسط سطوته على سطح الأرض.

الآن جوف الأرض شهد على ماحدث .. الآن جوف الأرض يحمل خطاياه .. الآن جوف الأرض يحمل السر الكبير.

لديه هدف واحد فى الصباح الباكر! التوجه إلى آنسة ثناء .. ذلك الصندوق الأسود الذى سيفتحه وستسمع أذنيه حقيقة حياته.

ركب سيارته واندفع بالتحرك للبيت .. للراحة الطويلة بعد يوم عسير مرهق .. وليستعد نفسيًا ويجهز نفسه لما سيسمعه .. فهنالك بالتأكيد أسرار مهمة تستحق ما فعله لأجلها.

وصل البيت بعد الفجر وخلع ملابسه للأستحمام فكل شبر منه ينبض بالتعب والإرهاق وأيضًا بكم وافر من الأتربة والرمال.

أنهى حمامه وارتدى ملابسه واستلقى على السرير وأعتقد أنه لن ينام من شدة التفكير .. ولكنه كان على خطأ .. فبمجرد إستواء رأسه بالوسادة دخل فى نومٍ عميـق.

*****

نفس اليوم .. الأحد .. الساعة ٢:٤١ عصرًا.

استقبل يومه مصابًا بصداع مرير .. ولم يسلم جسده أيضًا من التعب والإرهاق .. كل عضله من جسده تصدر أنينًا .. ولكنه لم يأبه لذلك ولم يهتم فأمامه هدف دفعه ثمنه الكثير.

انتفض من على سريره سريعًا وارتدى ثيابه .. ولم يبدى اهتمامه بمظهره هذه المرة على غير العادة.

هبط من بيته واتجه لركوب سيارته .. وهدفة التوجه إلى بيت آنسة ثناء .. ولكنه تذكر شيئًا هامًا عند فتح باب سيارته .. أنها تحتاج إلى غسيل لسنين عدة .. فبقايا ضحاياه من قئ وبول يملء سيارته .. وفورًا توجه إلى أقرب مغسلة سيارات حتى لا يموت مخنوقًا من الرائحة النتنة.

تمنى لو أن الزمن يمر بلحظة واحدة ويكون فى تلك الثانية أمامها وجهًا لوجه ليعرف منها ما يثلج قلبه .. فالفضول يقتله .. وينهش فى عقله.

وبعد ثلاث ساعات وصل إلى العنوان المدون بالورقة وركن سيارته .. إحدى عمارات وسط البلد.

عمارة عتيقة من طرازات منتصف القرن .. دخل العمارة وصعد الدرج إلى الطابق الرابع .. حتى توقف أمام الشقة التى تحمل رقم ١٤ ودق الجرس وانتظر .. وما هى إلا لحظات وفتح الباب طفلة صغيرة السن .. ترتدى ملابس البيت لا يتعدى عمرها تسعة أعوام.

الطفلة:

- مين حضرتك؟

مالك:

- هو مش ده بيت الآنسة ثناء؟

الطفلة:

- أيوا هو ، أنت مين؟

مالك:

- أنا مالك.

الطفلة:

- طيب اتفضل فى الصالون وأنا هدخل أقولها.

دخل الشقة وجلس على كرسي الصالون ينتظر بصبر قد أعلن نفاذه .. وثوانٍ وخرجت الطفلة من جديد.

الطفلة:

- اتفضل.

انتفض من مكانه سريعًا كمن لدغه ثعبان .. وقدماه تحاول أن تسبق أقدام الطفلة.

غرفة تعج بأجهزة طبية متعددة ومختلفة .. أجهزة تنفس .. أجهزة ضغط .. محاليل .. أجهزة للقلب .. وآنسة ثناء ترقد على السرير وسط ذلك كله.

جلس على كرسى بجوار السرير الذى ترقد عليه.

أدارت رأسها نحوه ببطء شديد .. وبدأت تنظر إليه بتمعن.

رفعت جهاز التنفس بيدها المرتعشة وهى تنظر لمالك بإبتسامة رقيقة.

قالت آنسة ثناء بصوت منخفض ومتقطع:

- أن.. أنت نسخة طبق الأصل من مراد م.. مفيش أي فرق بينكم ، أنت متعرفش يابنى أنا عملت إيه عشان أوصلك واللحظة دى تيجى.

رد مالك باستهجان:

- معتقدش الموضوع كان صعب أوي للدرجادى عشان توصليلي وتعرفينى كل حاجة!

آنسة ثناء:

- لا يابني كان أصعب مما تتخيل .. "وأخذت تسعل لفترة طويلة".

مالك:

- إزاى؟!

آنسة ثناء:

- لما حاولت أوصلك أكتر من مرة و"عليا" عرفت هددتنى تهديد شديد أوي وقطعت علاقتها بيا ، وقالتلى مالك ابني أنا اللّي حبيته وربيته وكبرته واهتميت بيه وبحياته وتفاصيله أنا الأحق بيه من أمه اللّي رمته فى الشارع وسابته للموت ، حتى عمرها ما قلبها حن عليه وجات تاني الدار اللّي رمته فيه تاخده تاني لحضنها أو حتى تطمن عليه ، لا يمكن مالك يعرف الحقيقة دي وشعوره ناحيتي يتغير أبدًا.

وقالتلى كمان انتِ كدا بتهدي كل يوم أنا بنيته فى حياة ابني مالك ، مش ممكن يعرف الحقيقة مهما حصل!

مالك باندهاش وحيرة من أمره:

- وانتِ هتستفادى إيه لما تعرفينى الحقيقة دي؟ ما كنتى تسبينى أعيش حياتي زى ما أنا! الحقيقة دي دمرتنى وخلتنى أكره حياتى.

صمت قليلًا وخفض بصره لأسفل ثم أكمل:

- الحقيقة دي خلتنى عملت حاجات مكنش المفروض أعملها...

خرجت دموع آنسة ثناء بغزاره وأردفت:

- الذنب يابنى بيقتلنى كل يوم ، وأنا خلاص مبقاش ليا فى الدنيا حاجة وأيامى معدودة وهقابل ربنا وأنا شايله الذنب ده ، ذنب إني فرقت مابين إخوات ، وكل أخ فيهم بعد عن التاني وميعرفش عن أخوه حاجة وعايش حياته كلها كدبة ، الوجع كان بيقتلنى وكانت أمنية حياتي أرجعكم تاني لبعض.

قاطعها مالك بعصبية:

- ذنبك اللّي عملتيه من سنين كان مدفون وكل واحد عايش حياته ومرتاح فيها ، الحقيقة دي دمرت حياتي وحياة مراد.

أردفت آنسة ثناء بأسف:

- سامحنى يابني كان لازم أعمل كدا ، ده اللّي بيأذى إنسان ربنا بيغضب عليه ومش بيسامحه وبيخرج كمان من رحمته ، فمابالك باللّي آذى أربعة!

ارتسمت على وجه مالك الدهشة والذهول وقال بصوت اقتحمه الذعر:

- أربعـة؟؟!! أربعـــة إزاى؟؟!! قصدك اتنين؟!! أنا ومراد!

آنسة ثناء:

- لا يا بنى كنتم تلت توائم.

وزاد الهلع والحيرة فى نبرات صوته:

- اااايـــه؟! تلت توائم؟!! إزاى؟! إنتِ إيه اللّي بتقوليه دا؟؟!!

آنسة ثناء:

- ايوا تلاتة وأنا كمان اللّي مسمياكوا بنفسى مالك ومراد وجميلة...

يـااه كنتوا أحلى تلت توائم شوفتهم فى حياتي كلها ، وبالأخص جميلة لما جتلى من فترة مع إخواتك وشوفتها لما كبرت ، شعرها الناعم الطويل البنى وعيونها العسلي الواسعة ، بس الله يسامحه مراد كان بيعاملها أسوء معاملة ومكنش بيرحمها أبدًا وأكنها مش أخته وده اللّي خلالها على طول مرعوبة منه ، واللّي كان مصبرها مفيش مكان تانى تروحه والبت كانت غلبانة وعلى نياتها.

صمتت قليلًا ثم أردفت:

- مراد ربنا ينتقم منه وميشوفش خير أبدًا ، فى يوم كان شارب الهباب البرشام اللّي بياخده ده واتخانق معاها خناقة كبيرة أوى .. "وسكتت قليلًا للمرة الثانية وانفجرت الدموع من عينيها كالشلال".

مالك:

- خناقة إيـه كمّلي؟!!

آنسة ثناء:

- خناقة ما يعلم بيها إلا ربنا ، مراد مكنش فى وعيه ومكنش عارف يسيطر على نفسه ، كل اللّي كان همه يسكت جميلة بأى شكل ، ضربها بالقلم وقعت منه على الأرض ، وهجم عليها وطلع المطوه من جيبه وقطعلها لسانها...

ازرق وجه مالك بعد إنسحاب الدم منه دفعة واحدة .. وكاد قلبه أن يتوقف عن العمل .. والصدمة جعلته لا يقوى على الرد.

وأكملت آنسة ثناء:

- أول يوم شوفتكم فيه ، يومها بنت كانت شغالة معايا وبايته فى الدار ، شافتكوا على باب الدار كنتوا لسه حتة لحمة فى اللفة ، أنت ومراد وجميلة ، وأخوك الكبير مؤمن كان أكبر منكم بسنة ونص ويدوبك بيعرف يمشي.

مالك:

- .....!!

بدأت آنسة ثناء بالسعال الفظيع الذي تكاد تظن أن روحها ستصعد معه ثم أكملت بصعوبة:

- الدار ساعتها كان فى ظروف صعبة أوي والتبرعات قلت والمعونات اختفت ، والدار مكنش ناقص همّ تاني أعذرنى يابنى ، عشان كده جت فى دماغى فكرة إن "عليا" تتبناكوا بس جوزها مرداش ياخد غير واحد بس وخدتك أنت يا مالك ، ومراد وجميلة الله يسامحني بقى ادتهم لواحدة معرفة على قدها وحيدة خدتهم تتبناهم تكسب فيهم ثواب ، وحظ مؤمن كان أحسن من مراد وجميلة خدوا رجل أعمال غني أوى اسمه سيد الخشن بس غير اسمه وسماه جمال .. والحمد لله أنى شوفتك قبل ماموت وأفضفضلك باللّي جوايا...

وها هى آنسة ثناء اعترفت بكل شىء لمالك وحققت ما كانت تتمناه قبل موتها .. وفاضت روحها إلى بارئها بعد أن أفضت بذنبها.

إن كل كلام البشر لا يمكن أن يصف شعوره بعد سماع الحقيقة كاملة .. نزل كلامها عليه كالطعنات تمزق روحه قبل جسده وقلبه .. حقيقة تمنى أن يموت قبل أن يسمعها.

أتعرف جملة تجمدت الدماء فى العروق؟ هو يشعر بأسوء منها .. هو يشعر بأفظع شيء يمكن أن يدركه بشر .. كيانه ووجدانه فى حالة توهان وعدم إستيعاب .. بدأ صوت نفسه يعلو والدموع تنهال من عينيه كالأنهار.

ودخل فى حالة صدمة .. يجز على أسنانه .. تشنجات قوية .. نظراته تائه .. صوت نفسه عالٍ.

وبغتتًا بلا مقدمات صوت تصفيق عالٍ جدًا .. منفر .. مستفز .. يقترب سريعًا.

وعلى حين غره يداهم المكان النقيب جمال!!

النقيب جمال بكل برود وهدوء مبالغ فيه:

- مفاجأة العمر مش كدا؟!

مالك يتملقه بنظرات تائهة ويحاول السيطرة على نفسه وأعصابه.

وأردف النقيب جمال ببرود أشد:

- أيوا كل اللّي اتقلك وسمعته دى الحقيقة كلها ، أيوا أنا مؤمن أخوك الكبير ، أنا صاحب الليلة دى كلها ، أنا اللّي خطت ودبرت لكل حاجة بالحرف

والحركة وبالمللى والثانية وبدون أى شبهه أو أخطاء .. شبح ماليش أى وجود!

أنا مش مستغرب خـالص إنك مصدوم أو مخضوض أو فى حالة صدمة أو أيًا كانت حالتك ، سميها زى ما تسميها أنت الدكتور وعارف ، عشان أنا مريت بنفس شعورك وعارف إنت حاسس بإيه!

وبخطوات بطيئة تحرك النقيب جمال وصوت كعب حذاؤه يصدر رنينًا عاليًا على بلاط الأرض واتكئ على الأريكة الموازية من الناحية الثانية لمالك وجلس بارتياح مستفز عليها.

النقيب جمال:

- مممممم مؤمـــن ، دا الإسم الحقيقي اللّي سمتني بيه الآنسة ثناء أول ما شافتنى ، أو بالأصح أول ما شافتنا ، اسم لشخص مجهول مالوش أصل ، ولما خدنى واتبنانى سيد الخشن سماني جمال وعملي شهادة ميلاد جديدة وابتديت حياة جديدة .. جمال سيد الخشن!

ومن يومها وأنا بدأت حياتى كجمال فى بيت سيد الخشن ، عايش مخدوع زيي زيك معرفش أى حاجة ، وفجأه أعرف كل حاجة ، أعرف حقيقة سنين

طويلة أووى مكنتش أعرف عنها حاجة وفى يوم لاااا دا فى لحظة حسيت إنى بقيت فى عالم تاني ، عالم غريب عليا لقيت صعوبة إنى أتأقلم وأعيش معاه ، نظرتي لكل حاجة فى الدنيا اتغيرت ، مشاعري كأنها اتبدلت ، وإحساسي بالشيء لما بقيت أحسه بعد كده تاني بقى مختلف ، بقى فيه شيء غريب مش قادر أوصفه!

وأكمل قائلًا:

- من تلت شهور أمى اتوفت ، أو تقدر تقول أمى اللّي اتبنتني ، كانت بتحبنى لدرجة الجنون ، كانت صدمة كبيرة بالنسبالى واتأثرت جامد وكان صعب عليا إنى أعيش من غيرها وكرهت كل حاجة من بعدها.

أما سيد الخشن مكنش بيحبني ولا بيطقنى أصلًا ، واللّي كان مصبره عليا أمى الله يرحمها عشان كانت بتحبنى أوي ، وسبب كرهه ليا إنى مش ابنه ، مش من صلبه ، وأمى اللّي زنت عليه عشان يتبنانى ، وفى الآخر وافق عشان ميزعلهاش عشان هى كانت مريضة بالقلب ، وغير كدا كمان مكنش عاوز يحرمها من شعور الأمومة وقالها هتبناه عشان خاطرك إنتِ وبس! لكن مستحيل يورثنى ، اللّي يورثنى هيبقى ابني من صلبى ، لكن هو مجرد ابنك وبس!

وطول السنين دى كلها سيد الخشن بيحاول مع كل الدكاتره يمكن يلاقي علاج ليها وتخلف وتجبله الولد اللّي نفسه فيه ، الولد اللّي مستنيه عشان يشيل اسمه ويشيل اسم العيلة ويورث كل حاجة ، بس محصلش ومتعلجتش ومكنش ليها أي علاج أو حتى فرصة ١٪ إنها تخلف ، ومع كل ذرة أمل فقدت فيها فرصة إنها ممكن تخلف كان بيزيد جواه كرهه ليا عشان عارف فى النهاية إنى هاخد كل حاجة وإني مستحقهاش ، عشان مش ابنه.

ولما أمى اتوفت ، السور المنيع اللّي كان بيحميني منه اتهد ، القوة اللّي كانت بتوقفه كل يوم عشان ميعرفنيش الحقيقة تلاشت بلا رجعة ، وعشان كده في نفس اليوم كانت صدمتين ، صدمة أمى اللّي ماتت ، وصدمة الحقيقة .. حقيقة إني مش ابنه!

قالي الحقيقة ، قالي على كل حاجة ، وقالها بكل وساخة أكنه بيشمت فيا ، أو مستحقرني ، أو ليه فضل عليا ، قالي احمد ربنا إنى صرفت عليك وكبرتك وعاملتك زى ابني ، ولولايا كان زمانك مرمي فى الشارع ملكش لا أهل ولا عيلة ولا بيت ولا أصل ، وإنه كان صابر عليا عشان أمى مش أكتر ، عشان هى كانت بالنسباله كل حاجة وكان عايش عشانها ، وقد إيه قهرني أكتر بعد

مماتت ، وخلاص ماليش مكان فى البيت ده بعد النهارده ولازم أرتب أموري وأمشي.

وقالي كمان شهرين هكتب وصيتي وهيحرمني من كل حاجة ، ومش هطول منه ولا مليم ، تخيل الراجل المجنون هيتبرع ب٦٥٠ مليون جنيه للدولة والفقرا والملاجئ ، مش بقولك مجنون!

فى الأول شكيت فى كلامه وقواه العقلية ، قولت يمكن موت أمى أثر عليه وخلاه يتجنن بجد.

عملت تحليل "DNA" من غير ما يعرف وظهرت التحاليل ، الراجل فعلًا طلع على حق ، أنا مش ابنه!

بعدها بكام يوم آنسة ثناء عرفت توصلى أنا ومراد وجميلة وجمعتنا مع بعض وحكتلنا اللّي حكتهولك بالتفصيل الممل.

كانت أول مرة فى حياتي أشوف مراد ، وأنا كظابط مباحث وبحكم خبرتي مع الناس والمجرمين والأشكال والطباع وكل حاجة تخطر على بالك ، من أول نظرة قدرت أقيم وأعرف شخصية مراد ، وفعلًا كانت نظرتي صح.

مراد مكنش لاقي ياكل وعايش حياته اليوم بيومه ، مراد شاف العز اللّي أنا عايش فيه ، وأنا فين "وأشار بيديه اليمنى لأعلى" .. وهو فين "وأشار بيديه الأخرى لأسفل".

مكنش على بعضه ، عينيه بقت هتاكلنى ، طلب مني فلوس وإنه عاوز يبقى زيي .. وأكمل جمال ضاحكًا: تخيل الجربوع ده عاوز يبقى زيي؟

بس هو حس إنه مش هيطول حاجة مني فهددني ، ساعتها اتحولت عليه ومسحت بيه الأرض وعرفته مقامه وقولتله لولا إني بس متأكد مش شاكك إنك أخويا لكنت حبستك زى الفيران ومسحتك من على وش الدنيا ، بس معلش أخويا الصغير برضو !

ولما خلاص فاض بيه وجاب آخره معايا بدأ يشوفله شوفه تانية ، بدأ يرقبك أنت! وأنت ولا حاسس ولا دريان ومتعرفش حاجة ، وتفكيره يجيبه ويوديه ، فى الأول كان عنده فضول شديد يشوف شكلك بيا إنك توأمه ويتأكد من ده. وفعلاً شافك واتعجب واتذهل وكل حاجة تتخيلها ، بعد كده بدأ يفكر يسرقك ويسرق البيت وكل حاجة معاك وحواليك.

ساعتها أنا برضو دفعني الفضول أشوف أنت مين وأعرف أخبارك وعايش إزاي وكل حاجة عنك وعرفت إنك كمان طالب فى السنة النهائية بكلية طب بشري فجت فى دماغي فكرة كده.

قدمت طلب نقل للقسم اللّي أنت تابع ليه ، وطلبي اتقبل ، وبقيت أنت تحت عيني.

وفى يوم مراد بيراقبك فيه حصلت جريمة قتل خالك ، خالك اللّي أنت قتلته.

صحيح أنت قتلته ليــه؟! ما علينا!

مراد كلمنى بعد واقعة القتل وقالي اللّي حصل بالتفصيل وبيهددني أنا وأنت بالڤيديو لو مخدش مننا أي حاجة ، مع إنه أخويا بس غبي أوي والله يا مالك ميشبهلناش فى حاجة خالص! طب ماشي يهددك أنت ، أنت اللّي قتلت ، طب يهددني أنا ليــه؟!

أخدته على قد عقله وقعدته على حجري وفهمته إنى معاه وفى صفه وبكرا يجبلي الڤيديو ده وهراضيه.

وكنت عارف إنه وقت قصير وهتجيلى إخبارية بالواقعة! وفعلًا اتحركت أنا والمقدم شوقي على محل الواقعة ، وكنت متصاحب على المقدم شوقي أوي

وبيديني الأمان وبيثق فيا ومعتبرني أخوه الصغير ، ساعات كان بيقسى عليا بس بعدها بيصالحنى ويفهمني إنه بيعمل كدا عشان يعلمني.

ويومها قابلتك ، فوله واتقسمت نصين من مراد ، بس أنت على أنظف طبعًا.

حاولت أبين إن مفيش أي حاجة وإنه تحقيق روتيني زيه زي غيره.

التحقيق مكنش فيه أى دليل يدينك ، وأنت حقيقي طلعت مش سهل! إزاي قدرت تقتل وتخفي أي دليل فى الوقت القليل ده؟! تخطيط بارع ومحترف! حتى ردود أفعالك وتصرفاتك تثبت ١٠٠٪ إنك اتفاجأت بالجريمة ومتعرفش عنها حاجة ومتأثر كمان! حقيقي ممثل هايل!

المهم أقنعت المقدم شوقى إنها جريمة سرقة والقتل كانت مصادفة! عشان التحقيق يخلص والقضية تنتهي وتتقيد ضد مجهول بأسرع وقت ممكن عشان خطتي تستمر ومتفشلش ، وكل دليل أو خيط ممكن ولو ب١٪ يثير الشكوك حواليك كنت بمسحه وأمحيه وأبعد عنك كل العيون والشبهات وأي حاجة ممكن تلفت الأنظار ليك أو تجيب رجلك ، وكمان غيرت فى التحقيقات كلها وبدأت أكتبها من جديد بعد سماع أقوالك ودي كانت أسهل حاجة عندي عشان دي لعبتي! أمال أنت فاكر إنك طلعت منها إزاي؟ بدعى الست الوالدة؟؟!

أول ما عرفت أنك دكتور على وش التخرج ، الشيطان لعب فى دماغي أخليك أنت أداتى اللّي هقتل بيها سيد الخشن وتمحيه من على وش الدنيا من غير أي دليل ، بس إزاي؟ وأقنعك إزاى أنك تقتل وتقتل تاني؟ وكمان حد متعرفهوش؟ الموضوع كان فعلًا مستحيل! لحد ما جه الڤيديو اللّي كان زي المعجزة ليا! أيواا هو دا السلاح اللّي هستعمله ، هو دا اللّي هيخليك تقتل مرة وأتنين كمان .. أنا عجزتك .. وروحك كانت فى ايديا!

كلمت مراد وقلتله يجيلي ، قلتله مش أنت كان نفسك فى حته من العز اللّي عايشين فيه؟ ريل زي الكلب وقالي دا انا أعمل أي حاجة! قلتله أي حاجة أي حاجة؟ قالي أنا عشت حياتي كلها فى فقر ومستعد أعمل أي حاجة عشان أطلع من اللّي أنا فيه ، وحكالي أم الأسطوانة المشروخة المعفنة اللّي صدعني بيها ، أنه قد إيه عاش فى فقر وتعب وهمّ ، والمفروض إن إحنا أخواته ونقف جنبه ونساعده ودا حقه علينا!

مالك:

- .....

وأردف جمال قائلًا:

- السبب اللّي خلاني مخليش مراد يقتل سيد الخشن واخترتك أنت ، إن مراد غشيم أوي ، وغير كده كمان السبب الأهم إن اللّي زى مراد طماع وجشع وهيفضل يبتزني ويطلب تاني وتالت ومش هيشبع ، فأنا كنت عاوز جريمة قتل متخرش الميه ، ميبقاش فيها ولا شبهه ولا دليل واحد يديني ساعة الجريمة أو حتى بعدها .. عرفت اخترتك ليه؟!

مراد كان عامل زي الكلب الجعان اللّي لقى عضمه ، وأنا كنت عارف كويس هكسره إزاي وأذله وأخليه زي الخاتم فى أصغر صباع فى إيديا وقلتله يعمل إيه بالحرف الواحد ، ولو غلط أو مش عارف يعمل إيه يكلمني وأنا هتصرف ، وفعلًا نفذ من الألف للياء عشان الفلوس ، وأنت كمان نفذت كل حاجة أنا خطت ليها من غير ما تحس عشان الڤيديو والحقايق اللّي ماسكين فى رقبتك.

أنت خلصتني من سيد الخشن بسم قضى على حياته ويظهر موته إنها موته طبيعية ومفيش أي دليل أدانه ، وخلصتني كمان من مراد وجميلة وبيومي ، وكنت فاكر إنك كده بتنقذ نفسك وبتبدأ بداية جديدة بسجل حياة نضيف ، بس فى الحقيقة أنت بتنقذني أنا!

أي دليل إدانه يدينك كان بيدني أنا كمان ، ولما أنت محيت كل الأدلة اللّي تدينك بالتالى محيت كل الأدلة التى بتدينى ، وفي الآخر أنا ورثت كل حاجة ، وأنت خسرت كل حاجة ، قتلت خالك وأخواتك الأتنين وصاحبهم.

وأكمل ساخرًا:

- فى الحقيقة أنت عملت فيا جِميل مش هعرف أردهولك!

اعتدل جمال فى جلسته وهمّ بالوقوف وقال:

- واااه قبل ما أنسى النسخة التانية من الڤيديو معايا أنا...

وبذلك أنهى جمال كلامه وترك مالك إلى مصيره .. تركه إلى غير رجعه وخرج.

نزل كلام جمال على مالك كالصواعق الرعدية دون وهنٍ أو صبر تصيب ما تصيبه ولا يبقى له أثر .. وتقتل ما تقتله بلا رحمة أو ضعف.

أي كلام وأي لغة وأي حروف يمكن أن تصف ما يشعر به الآن .. أي شخص طبيعي عند سماعه لنصف تلك الحقيقة فقط لأصيب بجلطة أنهت حياته أو على الأقل بشلل نصفي .. ولكن لم يحدث أيًا من تلك.

ولكنه فى حالة ذهول وصدمة كاد قلبه أن يتوقف عن العمل للأبد ولكنه ظل ينبض بالحياة .. شل تفكيره .. لا يدري ما إحساسه حقًا .. أهو إحساس بصدمة الحقيقة التى عرفها متأخرًا بعد قتله لأخوته مراد وجميلة؟! جميلة التى لا ذنب لها فيما حدث كله وراحت ضحية لكل شيء .. جميلة التى لم تنطق بكلمة واحدة .. وعندما حدثتها نفسها بالنطق لم يفهم منها شيئًا .. نعم لقد أرادت أن تخبره أنها أخته .. نعم لقد أرادت أن تستنجد به .. رأت فيه منقذها الأخير .. لم ترد شيئًا سوى أن تكون حره بعيدة عن إمتلاك مراد لها ولحياتها .. يا ليتها تكلمت .. ويا ليته كان يعلم.

إحساسه بالقهر والذل نتيجة كونه مجرد لعبة فى يد أخيه الكبير جمال .. يستغلها ويحركها كيفما يشاء .. مجرد قطع شطرنج كل منها دور فى اللعبة.

إحساسه باليتم بعد معرفته بأن والداه ليس والداه الحقيقيين ... كلها مشاعر لو كانت لجبل لأنهار صريعًا.

ها هو جالس مصدوم ثابت لا يتحرك لو رأيته لأعتقدت أنه تمثال من الشمع صنع بدقة على يد محترف .. ولو دخلت جوفه لرأيت صرخات مرعبة تصم الآذان ومشاعر لا يتحملها بشر أيًا كان .. حقًا انها معجزة أنه مازال حيًا حتى تلك اللحظة.

ها هى آنسة ثناء جثة هامدة .. صعدت روحها بعد كلماتها الأخيرة .. اعتراف كامل وصريح بذنب ارتكبته منذ سنين ومازالت آثاره حاضرة وباقية وتتمدد تقتل ما تبقى حيًا منهم.

حاول السيطرة على ما تبقى له من مشاعر آدمية وتصرفات بشرية .. وبدأ بالتحرك للخروج من هذا البيت المشؤوم.

أين سيتجه؟ لا يعلم .. ماذا سيفعل؟ لا يدري .. لقد فقد جزءً من ذاته.

الدموع لم تفارق عينيه حتى جعلت الرؤية ضبابية .. صداع فظيع يحطم رأسه .. ألم شديد يمزق جسده .. جسده يرتعش .. خطواته ثقيلة .. همه كبير.

ركب سيارته بصعوبة وأخيرًا عرف أين سيتجه .. البيت.

يريد أن يبقى وحيدًا لا يريد أن يرى أي شخص أي بشر .. لا يريد أن يختلط بأحد .. فقط يريد أن يبقى وحيدًا.

بعد وقت ثقيل مر عليه كالدهر وصل البيت .. البيت الذى استقبل مراد فيه أول مرة وهو يتلو عليه جزء من الحقيقة وجزء أخفاه وجزء كذب عليه فيه.

ألقى بجسده الذى أشبه بجسد محارب تلقى آلاف الطعنات وبمعجزة ما ظل حيًا .. جسد لا حركة فيه غير النفس .. عينان ترقبان السقف فى حيرة .. دموع تنزل بغزارة .. نفس يخرج وآخر يدخل .. همّ ثقيل .. تعب كثير .. وبالرغم من كل ذلك الغرفة هادئة كالمقابر.

نام دون أن يدري بنفسه .. نام كثيرًا .. كانت تلك أكثر ليلة نام فيها طوال حياته .. نام ليومين متواصلين.

*****

جميلة:

- أنا عملتلك إيه عشان تأذينى؟ كنت بحاول أقولك وأفهمك انى أختك! أنا من لحمك ودمك! أنا أقرب حد ليك!

كنت بحاول أحذرك من مراد ، خايفة عليك لما عرفت أنه هيقتلك وأنت مالكش أي ذنب فى حاجة ، كنت بحذرك!

كنت خايفة عليك أكتر من نفسي ، هو دا جزائي فى النهاية؟! تسممنى وتقتلني وترميني فى الصحرا وتدفني يا مالك؟!

مالك:

- سامحيني يا جميلة أنا مكنتش أعرف إنك فعلًا أختي! مراد خدعني وضحك عليا وخلانى أنفذ كل اللّي هو عاوزه ، كنت خايف زيي زيك!

أنتِ أكيد كنتى عارفة إحساسي ، إحساس إن روحك تكون فى أيد حد وبيتحكم في مصيرك ، إحساس إنك مغلوبة على أمرك وفي أي وقت حياتك هتضيع فى أقل من لحظة ، واللّي هيضيعلي حياتي واحد مش إنسان ومعندوش مشاعر ولا إحساس ، كنت هضيع ، هضيع يا جميلة ، لو كنت أعرف الحقيقة من الأول مكنتش سيبتك بين أيدين مراد ، سامحيني يا جميلة سامحيني...

جميلة:

- أنا مش ممكن أسامحك أبدًا يا مالك مش ممكن ، أنت بقيت زيك زي مراد ، هو دفني فى الدنيا وأنا حية ، وأنت قتلتني ودفنتني فى الصحرا ووصلتني

للأخرة ، أنا خلاص ارتحت من مراد ، ارتحت من الذل وكسرة النفس والوجع والتعب والهمّ ، أنا بقيت فى مكان أحسن بكتير ، أنا بقيت حرة يا مالك ، بقيت حرة ، ومراد مش هيوصلي تاني!

وبدون مُقدمات يظهر مراد من اللاشيء ملطخ بالدماء من أوله لآخره ، أسود وجهه كالفحمة بعد حرقها ، نبت فوق رأسه قرنين أحمران اللون ، يجري ناحيتهم كالكلب المسعور واللعاب يسيل من فمه ، فيطيح برقبة جميلة فى الهواء بسكين صدأ لتطير رأسها فى الجو ، ويسقط جسدها ليقع فى بحر من الدماء.

احتبست أنفاسه وسقط على ركبتيه رافعًا يديه ناحية جميلة يصرخ بكل ما أوتي من قوة:

- جميلــة جميلــة جميلــة.

وثب بفزع من على سريره فى لحظة تخطف القلوب من ضلوعها مرددًا اسمها بشكل هستيري .. وأكنه استيقظ على بوق إعلان حالة حرب .. ولكنها مجرد ردود أفعال لكوابيس امتدت إلى ما بعد استيقاظه لتدخل إلى عالم الواقع لبضع ثوانٍ .. فما زال المكان مل هادئ على شاكلته .. جسده يتصبب عرقًا على رغم برودة الجو .. ظل بمكانه ساكنًا مستسلمًا لوجع ألم به فأصاب روحه وبدنه.

بعدها بساعة ونصف بدأ يتحرك رويدًا رويدًا كطفل صغير فى المرحلة الأولى لتعلمه الحركة والمشي .. تارة يمشي بخط مستقيم وتارة يقع.

وبمجهود بالغ استطاع الوصول إلى الحمام للأستحمام .. فتح صنبور المياه لينساب ماءٍ كالثلج .. لم يعره اهتمام وأقحم جسده تحته ليصاب جسده برجفة خفيفة حين لامست المياه الباردة جسده .. واعتقد لوهله أن جزء من همومه ووجعه سينزل مع الماء .. لكن هيهات.

دقائق تمر وهو فى مكانه هادئ .. مطأطأ الرأس .. عيونه شاردة فى عالم أبعد من عالمنا بكثير .. واستمر سكونه ما يقرب النصف ساعة.

حرك يده اليمنى ليغلق صنبور المياه .. جفف جسده .. وارتدى ملابسه وخرج من الحمام.

إتجه إلى الصالة الفسيحة واتكئ على الأريكة وسرح بذاكرته وتذكر أول لحظة جلس فيها هنا بنفس المكان مع جمال وبدأ باستجوابه .. وتذكر جملته "اعتبرني زى أخوك" التى قيلت وقتها على سبيل المجاملة لا أكثر .. مع أنها كانت أول حقيقة لم يدركها .. وتذكر أيضًا خاله عماد الذى بمقتله بدأ كل شيء .. خاله عماد الذى أفسد عليه حياته وهو حي .. وأفسدها كذلك وهو ميت.

وتذكر جميلة .. نعم جميلة الوحيدة التى اعتبرها أخته فعلًا والتي ندم ندمًا شديدًا على ما فعله بها .. أحس بالذنب الجارف إتجاهها ويعلم حق المعرفة أن مهما بلغ ندمه لن يطفىء نار حزنه بما فعله بها .. فعل أبشع الجرائم بها سممها ودفنها بيده .. عاشت حياتها فقيرة وماتت قتيلة.

يكاد لوم ضميره على فعلته الشنيعة أن يفتك به .. فلا يترك بجسده خلية الا واقتص منها.

ولو يومًا ما أتى الهلاك ليصيبه .. ما أصابه إلا بذنب جميلة.

أعذرينى حبيبتي...

وتذكر والداه اللذان يطمئنان عليه باستمرار .. ويكذب كذبته السوداء ويخبرهم أنه فى أفضل حال ولا ينقصه شيء.

حياته انقلبت رأسًا على عقب .. اسودت من كل زاوية واتجاه .. أصبحت كذب وخداع وقتل.

لقد فقد جزءً من ذاته .. جزء نزع منه أشد الإنتزاع فأخذ يتلوى كالعصفور المذبوح .. وفقد الجزء الأكبر من روحه .. فأصبح جسدًا بلا روح.

وبلا وعي منه صرخ بشكل جنوني .. ظل يصرخ ويصرخ ويصرخ .. كالطفل الصغير الذى وقع بمشكلة أو أصابه الأذى فيصرخ من الأنين والوجع .. أو لعل أحدًا ما يشعر بما يشعر به فيشاركه الألم .. الألم الذى لو وزع على بحار ومحيطات الدنيا لكفاها وفاض.

صارخًا من أعماق باطن داخله العميقة طالبًا الإغاثة علّ أحدهم يرحمه ويخلصه ممن هو فيه .. أو يستقطع ما بقى من روحه .. فيخلصه نهائيًا مما أحرق قلبه.

وبهستيرية عشوائية خر ساقطًا على الأرض يبكي بكاءً مريرًا .. تكاد نيران صدره أن تخرج منه فتحرق كل ما يحيط به ويمحيها .. الألم يمزقه داخليًا ويتركه حيًا ليستمتع بتمزيقه مرارًا وتكرارًا.

يحاول التهدئة من نفسه ومواساتها ولكن لا جدوى لا جدوى...

ظل بسلبية مستلقي على الأرض مستسلم لعدم الحركة .. الإيجابية الوحيدة التى يفعلها تحويل الأكسچين لثاني أكسيد الكربون .. إنه الشيء الوحيد الذى يثبت أنه ما زال حيًا..

ومرت الدقائق والساعات حتى انتهى اليوم وهو على حالة.

*****

بعد يومين.

هدأ قليلًا وبدأ يتعامل بآدمية ويأكل بعض الطعام ليظل على قيد الحياة .. وإلى حد ما يصفي ذهنه المشوش ليفكر فيما سيفعل.

أولًا والأهم جمال هو المتسبب فى كل شيء من بداية حدوثه .. إنه وغد وقذر .. بل هو شيطان على هيئة بشر .. دبر لكل شيء من البداية للنهاية .. خطت لكل لحظة وكل خطوة .. عرف كيف ينفذ خطته معتمد على مالك وكيف يخرج منها بدهاء ومكر .. ولا ذرة شبهه عليه.

إن أسوء وأمر ما قد يصيب الإنسان هو شعوره بالعجز وقلة الحيلة .. وهو ما يشعر به الآن.

يشعر أنه ما عاد يملك نفسه وروحه .. أحس أنه مسجون لا يملك حق الإختيار.

إنه يحتاج الآن للرجوع لشخصيته القديمة فى التفكير بدهاء .. يستلزم خطة أو فكرة تنتشله من هو فيه .. ولكنه هذه المرة لن يفكر بطريقته هو فقط! بل سيفكر بطريقة وأسلوب جمال ومراد الشيطانى .. تفكير الشياطين هو قائده هذه المرة فى وضع الخطة!

وهنا جالت بخاطره فكرة جعلته يبتسم كشيطان مرعب .. وضحك حتى بدت نواجذه.

ليست كأي فكرة عادية أبدًا .. لا فهذه الفكرة فكرة شيطان .. انتقلت إليه الأفكار الشيطانية هو الآخر .. هذا ليس تفكير بشر أبـدًا!

ماذا لو تحول دليل إدانته لدليل لإثبات براءتـه؟! نعم هذه هى الفكرة! ولكن كـيــف؟!

سنرى..

تراقصت الفكرة بعقله أكثر فأكثر .. تلمع بمخيلته بكل تفاصيلها .. ولكنها تحتاج دقة متناهية فى التنفيذ .. الدقة والوقت هما أساس كل شيء فى الخطة.

أولًا يحتاج تنفيذ خطته ليل جمعة أو سبت عند منتصف الليل .. نعم التوقيت مهم وهو أصل الخطة .. فأهم شيء الآن هو الوقت والدقة وإنها لا تحتمل أى أخطاء!

ثانيًا هو يعرف تمامًا حق المعرفة أين يسكن جمال .. ببيت سيد الخشن ثانى ضحاياه.

وبدأ بإعداد الخطة .. وجاري التنفيذ.

كل ما يحتاجه الآن بالتحديد سكين ذو نصل جيد .. لا بل ممتاز .. وساعة تمنحه تحديدًا دقيقًا للوقت.

طريقة الدخول إلى الكومباوند والوصول إلى بيت جمال ليست بالصعبة .. فهو يعلم جيدًا مفتاح الدخول .. نعم إنه جابر!

الطريقة سهلة كما قال مراد .. "وهنا بقى عرضت عليه العرض اللّي عمره ما هيرفضه!" العرض هو المال .. وذلك ما طبقه مالك بالنص.

كل ليلة جمعة وسبت يتجه إلى الكومباوند الذى يسكن فيه جمال .. ويدخل من البوابة رقم ٦ .. وحارسها جابر.

اتفق معه على كل مرة يدخله فيها الكومباوند يعطيه مائتان جنية .. وزادها إلى ثلاثمائة جنية ليخرسه ويعميه فلا يسأله سبب دخوله أو خروجه المتكرر .. وذلك هو سحر المال.

كل ليلة جمعة وسبت عند منتصف الليل يختبئ مالك أسفل ڤيلا جمال وينتظر .. نعم يريده بالتمام فى ذلك الوقت .. فالدقة والوقت أساس كل شيء كما قلنا سابقًا .. أي يوم عدا ذلك تفشل الخطة.

وهكذا ظل يذهب إلى ڤيلا جمال بذلك الوقت بالتحديد مرارًا وتكرارًا منتصف الليل بالتمام .. وينتظر الصدفة التي ستجمعه به هذا الوقت بالتحديد.

إيابًا وذهابًا .. يذهب فلا يأتي جمال فيكررها .. حتى أتى اليوم الذى ظهر فيه جمال كما أراد بالضبط!

يوم جمعة .. الساعة الآن ١١:٥٤ مساءً.

يلمح مالك وهو مختبئ جمال قادمًا من بعيد بسيارته.

١١:٥٦ مساءً.

جمال يركن سيارته.

١١:٥٧ مساءً.

أطفئ المحرك والمصابيح.

١١:٥٨ مساءً.

أغلق سيارته بإحكام.

١١:٥٩ مساءً.

مالك ينطلق كالسهم ناحية جمال بسرعة خاطفة وجمال لا يدري ما ينتظره!

الساعة الثانية عشرة.

الطعنة الأولى بمنتصف العمود الفقري.

انهار جمال صريعًا وهو يتلوى من الآلم ولا يدري أى مجرم فعل هذا.

يلتف متجاهلًا الألم والدماء تخرج منه .. الدهشة تصيبه ولكن الألم يمنعه من النطق.

الطعنة الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والعاشرة ... والسابعة والأربعون.

لم يكتفي مالك بذلك .. بدأ بتمزيق وجه جمال .. شوهه بالكامل وقطعه تقطيعًا .. الأنف .. الأذن .. وأخيرًا اقتلع عينيه.

جسده مشرح بالكامل .. أشلائه متناثرة بكل مكان .. أعضاء جسده الداخلية على الأرض .. فرغ جسده من كل الدماء ليروى الشارع بغزارة .. ويداه وقدماه لم تعودا جزءً متصل بجسده.

وبسرعة البرق وصلت الشرطة .. لأن التبليغ كان من أحد جيران جمال الذى شاهد ما حدث بالصدفة وهو فى شرفة منزله بعد تمزيق مالك لجمال .. وأبلغ الشاهد فى تمام

الساعة ١:١٧ صباحًا بعد منتصف الليل عن جريمة قتل ضابط مباحث .. لذلك كانت إستجابه الشرطة أسرع من الأدرينالين فى الدم.

انقض رجال الشرطة بكل غضب جارف على مالك لينتزعاه بكل عنف وقوة ممكنة من فوق ما تبقى من أشلاء جمال .. وبصعوبة ومشقة قاتله استطاع ٦ من رجال الشرطة إحكام قبضتهم وترويضه وتثبيته بالأرض وربط يديه وقدميه.

أُخذ مالك وتم وضعه بالحجز بعد ضربات وكدمات وسب ولعن لا بأس بهم حتى تهشمت عظامه .. وغدًا يتم عرضه على النيابة.

قتل عمد مع سبق الإصرار والترصد .. بالتأكيد أنت الآن تعرف عقوبتها.

فى الصباح الباكر تم ترحيله إلى النيابة العامة.

نعم الأمر منتهي هو قاتل مع وجود شهود وسلاح الجريمة.

يدخل إلى وكيل النيابة ويبدأ المحضر وأخذ الأقوال!

وقبل كتابة أى شىء نطق مالك أخيـرًا وقال:

- أنا مش مواطن مصري أنا مواطن أمريكي وبطالب السفارة الأمريكية للتدخل!

صمت وحالة ذهول من الجميع!

صدقتني الآن عندما قلت لك أنها خطة شيطان وليست من بنى البشر؟!

ولكن كيف؟!!

هذا ما استمر يفكر فيه .. خطة محكمة دقيقة لا شبهه فيها ولا خطأ.

مالك يحمل الجنسيتين الأمريكية والمصرية .. تذكر هذه المعلومة جيدًا لأنها جزء من خطته التى سأخبرك بها!

*****

قبل مقتل جمال بأسبوعين..

تحدث مالك إلى صديقه طارق بأنه يحتاج مساعدة والده عضو مجلس الشعب .. لأنه يريد التخلي عن جنسيته المصرية .. وتعجب طارق من ذلك القرار!

وأخبره مالك أنه يريد اكمال دراسته العليا وتحضير الماجستير بإحدى الجامعات الأمريكية والذى ينص أحد قوانينها بمنع مزدوجي الجنسية من الدراسة.

ولذلك هو مضطر عن الإستغناء عن جنسيته المصرية ولا يوجد حل غير ذلك.

وافق طارق لرغبته وتحدث لوالده بالأمر .. وماهى إلا أيام وتم الأمر على أكمل وجه.

*****

بعد بضع ساعات تدخلت السفارة الأمريكية بالقاهرة وأمرت بترحيل مالك إلى الولايات المتحدة الأمريكية بحكم كونه مواطن أمريكي .. ولكن طلبها قوبل بالرفض!

وكان سبب الرفض أن جريمة القتل وقعت على إقليم الدولة المصرية ولذلك ستطبق القاعدة الإقليمية لقانون العقوبات والذى ينص على أن "قانون العقوبات المصري يسري على كافة الجرائم التي تقع على الإقليم المصري ، أيًا كانت جنسية الجاني وأيًا كانت جنسية المجني عليه ، وأيًا كان مكان وجود الجاني وقت وقوع الفعل الأصلي على

الإقليم المصري ، وأيًا كان موقف التشريعات الأجنبية من تجريم الفعل أو إمتداد تطبيقها عليه ، فيلزم ويكفي فقط وقوع الفعل فى مكان يدخل ضمن حدود الدولة".

وتطبيقًا لذلك فإن قانون العقوبات المصرى يطبق على الفاعل سواء كان الجاني مصريًا أم أجنبيًا وبغض النظر كذلك عن جنسية المجني عليه.

فالتجأت السفارة الأمريكية بالتعاون مع الحكومة الأمريكية على حل آخر! اتفقت مع السفارة المصرية والحكومة المصرية على إتفاقية إستثنائية .. إتفاقية تسليم المجرمين الهاربين .. وقد كان نص الإتفاقية الإستثنائية تسليم مالك إلى الولايات المتحدة الأمريكية فى مقابل تسليم إرهابيين يحملون الجنسية المصرية وفارين إلى الولايات المتحدة الأمريكية ومطلوبين على أعلى قمة قائمة الفارين من العدالة فى قضايا تمس أمن الدولة.

وبالفعل وقع الطرفين على الإتفاقية الإستثنائية فى تسليم المجرمين المحكوم عليهم فى قضايا جنائية.

وتم ترحيل مالك إلى الولايات المتحدة الأمريكية وبعدها إلى المحاكمة بتهمة القتل العمد للنقيب جمال .. وأيضًا قتل خاله عماد!

خطت جمال لكل شيء كما ذكرنا سابقًا ولذلك أوصى أحد أصدقائه إن حدث له مكروه بتسليم شريط يحتوي على ڤيديو للمقدم شوقى وهو سيفهم وسيتولى الأمر.

وماهى إلا أيام وسيتم محاكمة مالك على يد قاضٍ أمريكي.

وقبل كل شيء طلب مالك شهادة Professor Robert Nelson رئيس قسم الطب النفسى بجامعة Stanford.

أمر غريب حقًا ما علاقة Professor Robert Nelson الطبيب النفسى المشهور بمالك وقضايا القتل؟!

نعم هذا هو السر واللغز فى قتل مالك لخاله.

لنرجع قليلًا بالزمن إلى الوراء .. الوقت الذى اشترى فيه مالك كاميرات الڤيديو ووضعها بالمنزل.

ترك مالك الكاميرات تقوم بالتصوير لمدة ٢٤ ساعة باليوم دون إنقطاع .. وقد لاحظ أمرًا عجيبًا! الأمور طبيعية جدًا كل يوم عدا منتصف ليل الجمعة والسبت فى تمام الساعة الثانية عشرة يحدث لمالك أشياء يعجز العقل عن تفسيرها .. يستيقظ من نومه

كأنه شخص آخر .. تارة يظل مستيقظ مكانه لا يتحرك .. وتارة يتجول بالغرفة دون هدف محدد وتارة يذهب للصالة ويرجع .. وتارة ينزل من البيت ويصعد مرة أخري!

ظن فى بادئ الأمر أنها أعراض السير أثناء النوم .. ولكن هنالك تصرفات أخرى لا تمت بصلة لتصرفات شخص يسير أثناء نومه .. وبالبحث فى شبكات الأنترنت عن مشكلته توصل إلىProfessor Robert Nelson رئيس قسم الطب النفسى بجامعة Stanford وأخبره بما حدث .. وطلب من مالك تقرير مفصل عن حياته كلها .. من وقت إدراكه للحياة وحتى هذه اللحظة وأيضًا التسجيلات التى قام بها وتفاصيل يومه .. حتى يصل إلى تفسير منطقي وصحيح عن حالته.

وفعل مالك بالحرف الواحد ما أمره به Professor Robert Nelson وأخبره أن ينتظر..

وماهى إلا أيام قليلة حتى وصل لمالك الرد القاطع الذى لا شك فيه .. مالك مريض .. نعم مريض بانفصام فى الشخصية .. والشخصية الثانية تظهر منتصف ليل الجمعة ومنتصف ليل السبت.

ولما ذلك التوقيت بالتحديد؟ لأن ذلك الوقت الذى كان يغتصب عماد خال مالك فيه.

بدأ الإنفصام أو بالتحديد ظهور الشخصية الثانية لمالك فى العاشرة من عمره.

كانت فى بادئ الأمر شخصية وهمية بعقله وهى شخصية عكس شخصيته الأصلية .. فهو شخص قوي للغالية ذو بأس لا يلين .. لا يتفاهم ولا يصبر .. فقط ينفذ ما يراه بمنطقه .. يفعل ما عجز هو عن فعله .. عن الدفاع عن نفسه وحياته وروحه .. وبدأت تلك الشخصية تنمو وتكبر أكثر وتسيطر على مالك بعد خيانة حبيبته مريم .. نفس الموقف .. عجزه عن الدفاع عن نفسه أو الإنتقام منها .. مما غذى الشخصية الأخرى وجعلها تكشر عن أنيابها بوضوح .. ولو أن الوقت والظروف كانت فى صالحه أكثر لقتلها كما قتل خاله عماد .. وهذا ما أخبره به Professor Robert Nelson وعلى هذا الأساس بنى مالك خطته.

وبالفعل تم إستدعاء Professor Robert Nelson الملم بحاله مالك من بدايتها ويعلم كل شيء.

- Professor Robert Nelson:

سيدي القاضى .. حضرات السادة المحرمين .. تحياتى إليكم جميعًا.

توصل إلي المدعو مالك بطريقة ما وأفصح لي عن أشياء غريبة تحدث له فى أوقات محددة وقد قام بتسجيلها كليًا وكان عاجزًا عن تفسيرها ، وبحكم

خبرتي الطويلة وتخصصي بالطب النفسي أخبرته أن يحدثني ويخبرني عن حياته كلها بالتفصيل الكامل وعن عائلته وأصدقائه ، أى شيء حتى لو بدا له صغيرًا سيفرق معي كثيرًا ، وأخبرته أن يرسل لي كافة التسجيلات التي قام بها.

وبدأت أتابع معه حالته أول بأول ، وأي تفصيلة تظهر يخبرنى بها فورًا وبأدق التفاصيل.

وأخذت أتابع وأشاهد ما يحدث ، وبعدها كتبت تقريري وتشخيصي للحالة وهى:

مالك مريض بالفصام ، والفصام مرض عقلي يصنف ضمن فئة الأمراض النفسية المعروفة بالذهان ويعتبر أكثر الأمراض الذهنية انتشارًا ، وهذا المرض يمزق العقل ويصيب الشخصية بالتصدع فتفقد بذلك التكامل والتناسق الذى يوائم بين جوانبها الفكرية والأنفعالية والحركية والإدراكية وكأن كل جانب منها أصبح فى وادٍ منفصل ومستقل عن بقية الجوانب الأخرى وهو مصطلح مرادف للمريض العقلي ، أو ما يعرف فى المصطلح الشائع بالجنون ، وهنا تبدو غرابة الشخصية وشذوذها.

ولكن الإنفصام أو بالأدق الشخصية الأخرى لا تظهر إلا فى توقيتات محددة ودقيقة للغاية ، منتصف ليل الجمعة وكذلك منتصف ليل السبت هاتين

الليلتين بالذات ، وتستمر ظهور الشخصية من أربع إلى خمس ساعات وبعدها يعود إلى وعيه أو بالأحرى ذاته وشخصيته الحقيقة ، وفى حالة ظهور الشخصية الأخرى مالك لا يكون فى وعيه الطبيعي العاقل ، والشخصية الأخرى تسيطر عليه تمامًا ، على عقله وجسده وحواسه وإداركه وكل كيانه ، وشخصية مالك الحقيقة تصبح ملغية وكان لا وجود لها بالمرة ، وفى حالة ظهور الشخصية الأخرى له ، مالك لا يكون مسئول بتاتًا عما تفعله وعما بدر منها من تصرفات سواء كان مسالمة أم معادية ، وعندما يستيقظ من نومه لا يتذكر شيئًا على الإطلاق ، كل ما يتذكره ما فعله هو بشخصيته الأساسية الحقيقة.

ومن خلال خبرتي بمجال الطب النفسى وبالتجارب العديدة المتعددة ، وعلاجي لأشخاص كثيرة بنفس حالته ، يرتبط عادة بمريض الإنفصام بالوسواس القهري ، ومالك مصاب به ، يهتم بالنظافة لأبعد ما يتصوره العقل البشرى ، قد يستحم فى اليوم الواحد مرتين أو ثلاثة ، غرفته أشبه بتعقيم غرفة العناية المركزة ، كل شىء فى حياته مرتب ومنظم بشكل مبالغ فيه ، حتى فى تفكيره يأخذ شكل دقيق ومرتب ومتدرج ، وسواس النظافة والدقة ، ولذلك كانت براعة شخصيته الثانية فى عدم ترك أي دليل.

وأمام حضراتكم ڤيديو جريمة القتل للمدعو عماد خال مالك ، ويظهر مالك بوضوح وهو يقوم بجريمته ، ولكن فى الحقيقة هنا تظهر شخصيته الأخرى فى الڤيديو كما هى واضحة أمامكم ، وتقرير التحقيق الذي قامت به الشرطة المصرية وتقرير الطبيب الشرعي أن جريمة القتل وقعت ما بين الساعة الثانية عشرة صباحًا وحتى الساعة الثانية صباحًا بعد منتصف ليل سبت ، وجريمة قتل الضابط المصرى المدعو جمال بنفس ذات التوقيت ما بين الساعة الثانية عشرة صباحًا وحتى الساعة الثانية صباحًا بعد منتصف ليل جمعة ، وهو أكبر إثبات قاطع على ظهور الشخصية الثانية لمالك وقيامها بالجريمة.

جريمة قتل المدعو عماد خال مالك كانت بدافع الإنتقام لما فعله بالضحية مالك –وهى الإغتصاب– كما تراها الشخصية الأخرى ، وجريمة قتل الضابط المصري جمال قامت به الشخصية الأخرى أيضًا لأنها وبكل بساطة رأت أن الضابط جمال الذي يباشر التحقيق قد يكتشف ملابسات جريمة قتل عماد ويقضي على حياة مالك ، ولذلك سعت الشخصية الأخرى للدفاع عنه.

وقد تحرر فى تقرير الشرطة المصرية بالواقعة وذُكر فيها بالنص أن ٦ من أفراد الشرطة المصرية بكل ما أوتوا من قوة استطاعوا بصعوبة تثبيت مالك وربط

يديه وقدميه ، وأيضًا أوضحوا أنهم صعقوا من ملامح وجهه والتى كانت أشبه بوحش كاسر ذو عينين محمرتين كالدماء.

ولولا وجود الشرطة المصرية وإمساكها بمالك فى محل الواقعة لفعلت الشخصية الأخرى ما فعلته يوم جريمة قتل المدعو عماد ألا وهو التخلص من أي دليل يدين مالك.

ولذلك سيدى القاضى وحضرات السادة هيئة المحلفين أختم كلامي بحكم كوني طبيب ومدرك لحالة مالك العقلية ، أن فى حالات الفصام لا تكون سوى من منبع ظروف نفسية أو أسرية أو إجتماعية وخلافه ، لا أحد يختار أن يكون مصاب بمرض يفقده عقله وذاته ، المرضى هؤلاء ليسوا سوى بشر مثلنا تعرضوا لضغط أو تعب أو قهر أو ظروف خاصة حولتهم إلى ما همّ عليه ، وبقليل من الأهتمام والعلاج يعودون مثلنا ، دعونا لا نفقدهم أكثر مما فقدوا ، دعونا نمد لهم يد العون ، تركتهم أسرهم وأصدقائهم ومجتمعهم ، ولكني لن أتركهم ، ما زال لدي ضمير مستيقظ.

وهذا هو تقريري بالحالة .. وشكرًا لسيادتكم.

وبعد سماع القاضى وهيئة المحلفين لشهادة Professor Robert Nelson نطق القاضي بالحكم التالى:

- بعد سماعنا للتقرير المفصل عن حالة المدعو مالك الذي تلاها علينا Professor Robert Nelson بحكم تخصصه ، وظهور الشخصية الأُخرى للمدعو مالك فى ڤيديو جريمة القتل ، واطلاعنا على باقى المحادثات التي تمت بين المدعو مالك Professor Robert Nelson و ومشاهدة كافة التسجيلات التي قام بها المدعو مالك في منزله ، وأيضًا محاضر وتقارير الشرطة المصرية التى تمت افادتنا بها من خلال الجهات المختصة ، قررت هيئة المحكمة اسقاط كافة التهم عن المدعو مالك وإيداعه بمستشفى أو مصحة إعاده تأهيل نفسي تحت إشراف مباشر لل Professor Robert Nelson رئيس القسم النفسى .. وتقديم تقرير مفصل لهيئة المحكمة عن حالته أسبوعيًا.

طوال الجلسة والجميع منصتون بكل أذانهم وحواسهم لكلمات Professor Robert Nelson وتشخيصه الدقيق والمفصل لحالة مالك والشرح الوافي لجرائم القتل .. الكل مترقب لحكم المحكمة فى رهبة مراقبين شفتاي القاضي بكل حرف وردود أفعاله .. ولكن مالك لم يكن يشاركهم نفس الشيء .. كان وجدانه وكيانه وحواسه متعلقين بشخص واحد .. الدكتورة علياء .. والدته.

خافضه رأسها للأرض .. ظهرها منحني كقوس رماية .. محتضنة نفسها بذراعيها .. والمهندس علي محسن محتضنها بكامل جسده يقبلها بين الحين والآخر على رأسها.

قلبها احترق بنار لن يطفأها بحار الدنيا .. أتعرف شعورها؟! لا لن تعرف .. ولو ذوقته لأحترقت حيًا ولن ينجدك أحد.

وبعد انتهاء القاضي من تلاوة حكم المحكمة وتبرئة مالك من قضايا القتل .. ارتجف جسد الدكتورة علياء فى بكاءٍ مرير أمر من بكائها على فقد أخيها .. لا نعلم بالتحديد أهو بكاء لتبرئة مالك ونجاته من الإعدام أو السجن المؤبد؟ أم بكائها على ضياع مستقبله؟ أم على فقد أخيها قتيلًا على يد ابنها؟ أم على فقدها لابنها؟ أم كل شيء؟

وقبل آخر خطوة تخرج بها الدكتورة علياء من قاعة المحكمة القت بطرف عينيها مالك فى لحظة وداع .. مسكينة فقدت كل شيء.

وضع مالك رأسه بين يديه وخرجت دموعه كالأنهار الجارية.

وبغتتًا ألقى أحدهم ورقة إليه وتركه مسرعًا.

رفع رأسه ولم يدري من ألقى الورقة .. فالتقطها بخفاء وفتحها وقرء ما فيها.

ابني مالك..

من أول لحظة شوفتك وجيت فى حضني حسيت ساعتها بمعنى كلمة أمومه .. وعلى قد ما هى أحلى حاجة فى الدنيا على قد ما هى أكبر حمل فى الوجود .. مهما عدت من أيام وشهور وسنين هتفضل دايمًا ابنى وجزء من روحى .. وجودك فى حياتى خلا ليها معنى وطعم .. أنت مش ابني وبس انت حياتي كلها .. لو ضفر منك اتكسر أروح فيها .. هفضل جانبك ومعاك حتى لو ما محستش بوجودي .. ودايمًا هبقى حسه بوجودك معايا عشان أنت جوه قلبي.

أنا مسمحاك .. أمك.

اعتصر الورقة ووضع قبضه يديه على صدره .. ولأول مرة يبتسم فيها من قلبه.

- وأنتِ كمان هتفضلي أُمي.

*****

بعد تسعة عشر شهرًا ....

NewYork–Presbyterian Hospital

ساحة واسعة بها العديد من المرضى ذات واجه زجاجية بطول المكان تطل على حديقة كبيرة من الجنائن والزهور الخلابة.

دخلت ممرضة ذات تنورة بيضاء قصيرة -لتكشف عن ساق بيضاء ممشوقة- وبيدها كشف كتب فيه العديد من أسماء المرضى والحالات وتقرير يومي عنهم .. وقفت على الباب وقلّبت الصفحات بالكشف .. واستدعت إنتباه المرضى وقالت بصوت نسائي عذب:

- مستر مالك علي محسن؟!

رنّ اسم مالك بأذنيه وأكنه لأول مرة يسمع فيها اسمه .. لتتحول كل حواسه إلى أذنٍ مستمعه بإنتصات.

قال مالك فى تردد مختلط برهبة:

- أي...أيوا دا أنا! أنا مالك!

الممرضة:

- عندك زيارة!

رد مالك باندهاش غير مسبوق:

- زيااااارة! ميـــن؟!

لم تطفئ الممرضة الحسناء نار فضوله فى إجابته على سؤاله وإنما اكتفت بالإشارة إليه للقدوم معها.

ممرات واسعة هادئة بداخل المصح النفسي .. وعلى جانبي الممرات زهور بلونين الأحمر والأصفر .. وبآخر الممر استقلا المصعد وهبطا طابقين لأسفل .. وفُتح المصعد لتخرج الممرضة أولًا .. وانتظر مالك قليلًا ولم يخرج!

دخلت الممرضة مجددًا المصعد وجذبته من يديه قائلة:

- يلا يلا.

استجاب لها في استسلام وخرج من المصعد.

الممرضة:

- اتحرك على تاني حجرة على اليمين.

تركته وعادت إلى المصعد وصعدت من جديد.

ألقى نظرة على الحجرة من بعيد وحدثته نفسه للتراجع .. ولكنه استقر فى النهاية على الذهاب إليها.

باب الحجرة نصف مفتوح .. مد يديه اليمنى وفتح الباب قليلًا ليجدها خاوية على عروشها عدا طاولة واحدة بالمنتصف يجلس عليها شخص ما يعطيه ظهره.

اقترب بروية تحبس الأنفاس .. وجلس على الكرسي المقابل للزائر المجهول!

مالك لا يكاد يصدق عينيه! الشخص الغريب ليس بالشخص الغريب!

المقدم شوقى:

- إيه نسيتنى!

مالك:

- أنت ظابط المباحث اللّي كان بيحقق ساعة جريمة قتل خالي عماد!

المقدم شوقى:

- اللّي أنت قتلته؟! آه أيوا أنا المقدم شوقى اللّي كان ماسك القضية والتحقيق!

مالك:

- أنت إزاي عرفت مكاني هنا فى المصحة؟! وإزاي قدرت توصلي؟! وكمان سمحولك بالزيارة؟! ممنوع الزيارة لغير الدرجة الأولى والتانية وبمواعيد وشروط محددة!!

المقدم شوقى:

- مش لوحدك اللّي عنده علاقات ومعارف وناس مهمين ، ومع ذلك كان صعب عليا جدًا جدًا انى أعرف مكانك وأوصلك!

مالك:

- جاي تكمل القضية! ولا جاي تكمل تحقيقك ولا أنت عاو...

قاطعه المقدم شوقي قائلًا:

- لا لا لا أنا مش فى مهمة رسمية! أنا ماليش سُلطة هنا عليك ولا على أى حد! بالعكس ، تقدر تقول أنا مجرد سائح وعديت أسلم عليك!
أخدت أجازة من الشغل بعد ما عرفت طريقك ، ووصلتلك وقابلتك بعد سنة ونص! سنة ونص بحاول أعرف طريقك!

مالك:

- مدام هى مش زيارة رسمية! ومش تحقيق! جى ليه؟! وليه جازفت بالشكل دا عشان تقابلني؟!

وضع المقدم شوقي مذكرة سوداء اللون على الطاولة دون أن ينطق بكلمة وعينيه لم تنزل من أمام عيني مالك.

مالك:

- إيه الNoteBook دي؟!

المقدم شوقي:

- افتحها واقرأها وهتعرف كل حاجة!

مالك:

- أنا مش هقرأ حاجة ، وهحرقها حتى قبل ما أعرف فيها إيه!

المقدم شوقي:

- لا لا لا صدقني المذكرة دى تخصك أنت!

مالك:

- يعنى أنت اللّي جايبهالي وبتقولي تخصني أنا؟! بتدور عليا بقالك سنة ونص عشان تديني NoteBook!

المقدم شوقي:

- سيد الخشن!

نظر مالك للأسفل ومسح أنفه وقال:

- مين سيد الخشن؟!

ضحك المقدم شوقي ضحكة خفيفة ورفع رأسه للأعلى دلالة على معرفة كذب مالك وقال:

- سيد الخشن اللّي أنت قتلته هو كمان!

قال مالك بعصبية:

- إيه اللّي أنت بتقوله ده؟! أنت مش قولت إنك مش جى في زيارة رسمية ومش تحقيق رسمي! جى بتتكلم دلوقتي عن القضية وجرائم وقتل؟! انسى خلاااص المحكمة أصدرت الحكم وفصلت فى القضية يعني قاعدتك دي مالهاش أى لاز.....

قاطعة المقدم شوقي للمرة الثانية بإشارة من إصبعه وقال:

- سيد الخشن اللّي أنت قتلته ده يبقى أبو جمال .. وأبوك أنت كمان!

احمر وجه مالك وزادت عصبيته:

- إيه الجنان والتخريف اللّي بتقوله دا؟!

المقدم شوقي:

- أيوا زي ما سمعت كده! سيد الخشن ده أبوك الحقيقي! واللّي كان عارف الحقيقة دي جمال وبس! حتى مراد مكنش يعرف ان أبوه الحقيقي لسه عايش وشارك فى جريمة قتله!

مالك:

- أيوه أيوه فهمت!

وصفق بحرارة وأكمل:

- وبعد كده بقى أنا أتصدم وأعترفلك بكل حاجة مش كده؟! وليكن أنت صح واعترفتلك بكل حاجة! هياخدوا اعتراف من مجنون؟! أو حتى من حد خلاص اتخلى عن جنسيته القديمة؟!

أنت بس عاوز تعرف الحقيقة عشان ترضى غرورك! عشان دى أول جريمة أنت فشلت فيها ومعرفتش تحلها ، لكن مش فارق معاك أتحبس ولا أموت ولا زى ما بتقولوا كده العدالة تاخد مجراها!

أشعل المقدم شوقي سيجارة ضاربًا بعرض الحائط لافتات ممنوع التدخين وأخرج نفس دخان وقال:

- خلصت؟! قولت كل اللّي نفسك فيه؟! خلصت استنتاجاتك؟!

ثم وضع يديه على المذكرة وأكمل:

- برغم شدة ذكاء جمال وقوة ملاحظته وبراعته الشديدة وتخطيطه لكل حاجة بالمللى –حقيقي جمال محترف– إلا أنه عمل حاجة غريبة جدًا! أو أنا اللّي شايفها حاجة غريبة وممكن تكون ذكاء منه .. أو لسبب كان فى دماغه! جمال كتب كل حاجة من أول ما حصلت لحد موته بالتفصيل!

بعد ما أنت اترحلت على أمريكا والقضية اتقفلت بالضبة والمفتاح ، فضلت ساعات وأيام مش بنام ، التفكير عمانى عن أي حاجة ، أنا مش فاهم إيه اللّي حصل! واللّي حصل ده ليه؟! وإيه علاقة جمال بيك؟! وليه أنت قتلت خالك؟! والدافع كان إيه؟! وحاجات تانية دارت فى دماغي!

وقررت أكمل القضية والتحريات بشكل غير رسمي وفى سرية تامة ، بمعنى أنى كنت شغال بصورة غير قانونية!

بدأت أدور على أي خيط أو علامة أو دليل أبدأ بيه ، أول حاجة جت فى دماغي شقة جمال ، روحت على هناك وكسرت القفل وفتحتها وبدأت أدور فى كل حاجة وكل حته ، وبالصدفة لقيت المذكرة دي فى شقة جمال سابها ومكنش لسه خدها معاه ڤيلا سيد الخشن قبل ما يموت ، فتحتها وقريتها بالتفصيل من أول حرف ولآخر حرف ، وعرفت الألغاز دي كلها ، وبانت

قدامى كل الحقايق! واتضحلى فى الآخر إني حمار مش عارف أي حاجة ، وكنت بجري ورا خيوط الوهم!

مالك:

- وإيه الحقايق اللّي أنت عرفتها؟!

المقدم شوقى:

- صدقني مش عارف أبدأ منين ولا منين!

أطفئ سيجارته بالطاولة وأخرج آخر نفس دخان وأكمل:

- زي مثلًا إن مراد وجميلة إخواته وإخواتك أنت كمان! اللّي أنت برضو قتلتهم!

مالك:

- وليكن كلامك صح!

المقدم شوقي:

- مفيش وليكن كلامى صح عشان أنا فعلًا كلامى صح! وأقولك على حاجة كمان! اللّي أنت قابلتها دي مش آنسة ثناء الحقيقية!!

مالك:

- إيه كانت خيال ولا Graphic؟! ولا مش يمكن جمال كان مأجرها؟! لو كلامك دا فعلًا صح إزاي هى عرفت الحقايق دى كلها وقالتلي عليها؟!

المقدم شوقى:

- على الرغم من انك بتستهزء بكلامي وبتتكلم بسخرية بس كلامك صح! بس هو مأجرهاش هو استغلها!

الست اللّي أنت روحتلها ولقيتها بتموت على السرير وبتفيص مسمهاش آنسة ثناء! اسمها الحقيقى عواطف كامل المرعى ، ابنها مسجل خطر سرقة بالإكراه وفتح خزن ، اتقبض على ابنها فى زمة قضايا ، واتحط فى الحبس للعرض على النيابة.

عواطف جات القسم واترجت جمال وباست رجليه يطلع ابنها بأي طريقة أو وسيلة ، وممكن تعمل أي حاجة فى سبيل انها تخرج ابنها ، جمال استغل موقفها وخرج ابنها من القضية ولبسها لواحد تاني في مقابل انها تعمل حاجة هو عاوزها ، طبعًا هى وافقت من غير كلام ولا مناقشة ، وخلاها تقوم بدور آنسة ثناء وحفظها الكلمتين متقولش غيرهم ، وبعد ما خلصت كلامها اقتحم جمال المكان وكمل هو القصة المزيفة.

أخرج المقدم شوقي سيجارة أخرى وأشعلها وأكمل قائلًا:

- أنا اتخدعت فى جمال واتصدمت فيه!

المهم! نرجع سنين ورا من أول الحكاية خالص! وأعرفك بأُمك الحقيقية!

سيد الخشن كان رجل أعمال كبير أوي ومتجوز من السيدة مي جلال الدين وكان عنده بنت بس ماتت فى حادثة عربية! بس مش دا المهم ، المهم بقى أمك!

أُمك الحقيقية اسمها نادية فاروق .. كانت شغالة عند سيد الخشن ومراته فى البيت زي ما تقول كدا داده وبتراعي بنتهم وبتشرف على البيت.

سيد الخشن كان بيعشق النسوان زي عينيه ونادية كانت من النوع اللّي بيحبه ، بيضة وحلوة وعينيها ملونة ، ما أنت عارف بقى بنات المنصورة!

لف عليها كتير وحاول معاها أكتر من مرة وأغراها كمان بالفلوس ، بس الست كانت شريفة ورفضت! وآخر ما صبره نفذ عرض عليها الجواز ، بس جواز عرفي! ولو موفقتش المرة دي هيرميها فى الشارع ويطلعها بفضيحة إنها حرامية ، عاندت وقالتله لأ جواز رسمي! فكر كتير ، بس فى النهاية وافق عشان كانت واكله دماغه على الآخر ، بس قالها إنه مش هيشهر الجوازه ولا هيسجلها رسمي ، هيبقى باتنين شهود ومأذون والموضوع هيبقى سر بينهم ميخرجش عنهم هما الخمسة! وافقت على الحل ده عشان ضعيفة وماهاش

ضهر ومش هتقدر تعمل أكتر من كده ، واتجوزت سيد الخشن من غير ما مراته تعرف.

أجرلها شقة صغيرة كانت جنب ملجئ ، وسابت الشغل عند سيد الخشن بحجة إنها هترجع البلد وتستقر هناك ، وفعلًا سابت الشغل وجابت منه مؤمن اللّي هو جمال وبعدها بسنة ونص جابتك أنت ومراد وجميلة ، بس يا فرحة ما تمت!

مي جلال الدين مرات سيد الخشن عرفت بالمصيبة اللّي جوزها عملها ، ومتجوز من نادية ومخلف منها كمان ، مى جلال الدين اتجننت وحلفت إنها هتدبحها هى والعيال ، نادية لما عرفت خافت جدًا ومكنتش عارفة تتصرف إزاي ، فلجأت لفكرة إنها ترميكوا على باب الملجئ وتهرب ، بس آنسة ثناء لما شافتكم عرفتكم على طول ، وده عشان نادية كانت بتدور على شغل واتصاحبت على آنسة ثناء وحكتلها قصتها ، وبعد ما رمتكم قدام الملجئ هربت ومحدش عرفلها طريق ، وآنسة ثناء مرضتش تروح بيكم لسيد الخشن لحسن مراته تتجنن بجد وتقتلكم ، وبعدها اتوزعتم كل واحد فيكم على مكان.

جمال خدته عيلة على قد حالها ، الراجل اللّي إتبناه كان حاجب محكمة.

جمال كان شاطر ومتفوق جدًا ومخه نظيف ، وجاب مجموع يدخله هندسة ، وكمان كان جسمه رياضي ، كلم أبوه أنه عاوز يدخل كلية الشرطة ، وساعتها أبوه قاله إحنا فين وكلية الشرطة فين! إحنا على قد حالنا وعلى باب الله! ومش هيقدر يدخله.

جمال قاله لا تقدر! أنت شغال حاجب محكمة وبحكم شغلك تعرف ناس كتير واصلة ومهمة وبإشارة منهم أبقى وزير مش ظابط! أبوه أقتنع بكلامه أوي ومحبش يزعله وفعلًا كلمله تراب الأرض عشان يدخله ، وفعلًا دخل كلية الشرطة ، وجمال حقق حلمه.

جمال كان متفوق بصورة ملفته وكان الثالث على دفعته ، اتخرج وعلق أول نجمة على كتفه ، ومع ذلك مكنش راضي بحاله! إزاى ظابط وباشا وكل من هب ودب بيخاف منه وبيديله تعظيم سلام يبقى فقير ومن عيلة على قد حالها!

جمال كانت دماغه سم ، واللّي اكتشفته بعد ما مات أنه كان ظابط وسخ وكان بيعمل مصالح لناس مقابل فلوس بحكم سلطته ، عشان كده بان عليه العز بسرعة والفلوس بدأت تجرى فى إيديه ، وبقى عنده طمع للزيادة!

ساب أهله اللّي ربوه واتبرى منهم وعاش لوحده ، وفى يوم قدرت آنسة ثناء توصله وتعرفه الحقيقة وإن سيد الخشن أبوه الحقيقي ، وجمال بس اللّي كان عارف الحقيقة دي ، أما مراد وجميلة كانوا عارفين الحقيقة كلها ماعدا إن أبوهم سيد الخشن.

جمال رفع على سيد الخشن قضية نسب وكسبها ، وسيد الخشن قاله لو رفعت مليون قضية ملكش حاجة عندي! ومراته كانت ماتت من سنتين وبكده مالوش ورثة غير جمال! وقاله بتهديد أنه هيكتب كل حاجة للدولة ومش هيطول منها مليم ، وأنت أكيد عارف الباقي!

جمال كان مستعجل بجنون على موت سيد الخشن قبل ما يكتب كل أملاكه وفلوسه للدولة ، واستغلك أنت ومراد فى تحقيق ده!

وتفاصيل ڤيلا سيد الخشن عرفها كلها من بنت شغالة فى ڤيلته ، خد منها مفتاح الباب الخلفي للفيلا ، وهددها لو فتحت بقها هيقطعلها لسانها وهيدفنها مكانها وأداها برضو قرشين حلوين عشان يراضيها.

وده السبب إن جمال أدى مراد مفتاح الباب الخلفي للڤيلا بس وقاله داخله المكان عليك أنت ، لإنه مش هيعرف أصلاً يدخله ، وكمان مش عاوز يظهر فى الصورة.

جمال كان بيراقبك ٢٤ ساعة بشكل غير قانوني ، كان مأجر اتنين يحطوا عينهم عليك بيبدلوا مع بعض فى ورديتين.

وبعد ما أنت اشتريت الـ٦ كاميرات الڤيديو وجهاز التصنت ومشيت ، جمال راح للمحل ، وعرف من الواد اللّي شغال فيه إنك اشتريت منه ٦ كاميرات ڤيديو وجهاز التصنت بعد ما أنت راضيته ، جمال عجبته فكرة جهاز التصنت دي أوي وبالذات أنه صغير جدًا ومش باين ، وعارف ومتأكد أنك هتزرعه فى بيت مراد ، بس كان مستغرب من كاميرات الڤيديو اشترتهم ليه!

المهم هو كمان عمل زيك راح بيت مراد بحجة أنه بيتفق معاه على تفاصيل قتل سيد الخشن وزرع هو كمان جهاز التصنت فى بيت مراد ، وفهم مراد أنه ميتعاملش معاه غير باسم مؤمن وينسى اسم جمال دا نهائي ، وفعلًا مراد سمعًا وطاعة.

وزي ما أنت كنت بتسمع اللّي بيحصل فى بيت مراد ، جمال كان بيسمع! وعرف إن مراد هيقتلك! وأكيد أنت كمان هتسمعه وهتعرف أنه هيقتلك ، وأنت مش هتسيبه يقتلك وهتخلص عليه قبلها!

جمال ساعتها حس براحة نفسية وبقى فى قمة السعادة ، بضربة واحدة كلكم هتخلصوا على بعض ، وهتخلصوه كمان من كل الأدلة.

نيجى بقى لعنوان آنسة ثناء اللّي ادهولك مراد ، لو تفتكر كويس الخط فى الورقة اللّي كان مكتوب فيها عنوان آنسة ثناء مختلف عن الورقة اللّي أدهالك مراد اللّي كان مكتوب فيها عنوان القهوة! وده عشان جمال اللّي كان كاتب عنوان آنسه ثناء بخطه!

تكلّم مالك بعد صمته الرهيب وإنصاته بعناية وتركيز للمقدم شوقي قائلًا:

- ولنفترض كلامك صح ليه أصلًا من الأول ادانى عنوان آنسة ثناء اللّي هى مش آنسة ثناء وخلاها تمثل عليا؟! مش كان اكتفى أنى أقتل مراد وجميلة وتخلص الحكاية على كده!

المقدم شوقي:

- كلامك منطقى جدًا ، بس ناقص! جمال عمل كده عشان تبقى الحكاية كاملة ومفيهاش أي خطأ ، والدافع الحقيقي لإرتكابك لجريمة قتل سيد الخشن كانت حاجتين الڤيديو والحقايق ، فكان لابد للحكاية انها تكمل ، وغير كده كمان كان عاوز يكسرك ، يدمرك نفسيًا ، يلهيك فى قتل إخواتك وأنك تنتحر أو تموت بحسرتك بعد ما تعرف حقيقة أنهم اخواتك وبالذات جميلة ، أو على الأقل تهرب وتبعد ومتسببلوش أي ضرر أو مشاكل ، بس أنت طلعت حاجة

تانية ، ومطلعتش سهل زي ماهو توقع! وقررت تحول آلآمك ومعاناتك دافع للإنتقام من جمال وتفكر زيه بالضبط تفكير الشياطين!

أطفئ المقدم شوقي سيجارته الثانية في الطاولة .. ووقف على قدميه ولم يرفع عينيه من على مالك وأنهى آخر كلامه بجملته:

- **أنت كنت الغلطة الوحيدة اللّي ارتكبها جمال ومكنش عامل حسابها!**

حقوق النشر والتوزيع محفوظة

ببلومانيا للنشر والتوزيع